

الأزهر الشريف
قطاع المعاهد الأزهرية

تيسير
شرح جوهرة التوحيد

للشيخ إبراهيم البيجوري ١٢٧٧هـ

للصف الأول الثانوي

لجنة إعداد وتطوير المناهج بالأزهر الشريف

١٤٤٧هـ
٢٠٢٥ - ٢٠٢٦م

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين وبعد.

فتعد منظومة (جوهرة التوحيد) من المؤلفات المفيدة في هذا العلم؛ لكونها جامعة لمسائل علم العقيدة، وهي للشيخ إبراهيم اللَّقَاني المتوفى (١٠٤١هـ)، وهو إبراهيم بن إبراهيم بن حسن بن علي بن عبد القدوس بن الولي الشهير محمد بن هارون اللَّقَاني المالكي، المصري، لُقب ببرهان الدين، وكنيته: أبو الإمداد، وأبو إسحاق.

و«اللَّقَاني» نسبة إلى لَقَانة، وهي قرية من قرى مصر تبعد حوالي ٧٠ كم من الإسكندرية، وقد شملت منظومته عقائدَ الأشاعرة، ونظمها بأسلوب سهل ميسر، ولأهميتها كثرت الشروح عليها، وكان الشيخ اللَّقَاني نفسه هو أول الشارحين لها، ومن بعده ابنه الشيخ عبد السلام اللَّقَاني المتوفى (١٠٨٧هـ).

ومن أنفع الشروح عليها شرح الشيخ إبراهيم بن محمد بن أحمد البيجوري الشافعي المتوفى (١٢٧٧هـ)، وهو الشيخ التاسع عشر من شيوخ الأزهر، وكان شيخًا للمذهب الشافعي، وشرحه للمنظومة يسمى بـ (تحفة المريد على جوهرة التوحيد)، وهو الكتاب المقرر على طلاب الأزهر في المرحلة الثانوية في مادة «التوحيد»، والمنظومة والشرح ثمرة من ثمرات المذهب الأشعري، مذهب أهل السنة والجماعة الذي تلقته الأمة بالقبول، وكتب الله له البقاء والانتشار.

والأشاعرة ينتسبون إلى الإمام أبي الحسن الأشعري، وهو العلامة: أبو الحسن علي بن إسماعيل بن أبي بشر إسحاق بن سالم بن إسماعيل بن عبد الله بن موسى ابن بلال بن أبي بُردة بن أبي موسى الأشعري، أحد الصحابة الذين مدحهم النبي ﷺ بقوله: «إن الأشعريين إذا أرملوا[1] في الغزو، أو قَلَّ طعام عيالهم بالمدينة؛ جمعوا ما كان عندهم في ثوب واحد، ثم اقتسموه بينهم في إناء واحد بالسوية، فهم مني وأنا منهم»[2].

ولد الإمام الأشعري بالبصرة عام ستين ومئتين من الهجرة، وتوفي في بغداد عام أربعة وعشرين وثلاث مئة من الهجرة، وكان من كبار الأئمة الذين حافظوا على عقيدة المسلمين واضحة نقيَّة، وهدفه الأسمى إثبات عقيدة أهل السنة والجماعة والدفاع عنها، وهي عقيدة تتسم بالوسطية، بخلاف ما قررته الفرق والمذاهب المختلفة، فالوسطية هي أهم سمات الدين؛ ولهذا حرَص المذهب الأشعري على تحقيقها؛ لذا دان جمهور المسلمين بهذا المذهب على مر العصور والطبقات إلى يومنا هذا.

هذا وتُعد الأشعرية الجناح الأعظم لأهل السنة والجماعة في المشرق العربي، وهو مذهب منتشر في البلدان العربية، وفي مقدمتها مصر وليبيا وتونس والجزائر والمغرب وموريتانيا والسودان وغيرها، كما تُعد الماتريدية الجناح الثاني لأهل السنة والجماعة، وشيخهم هو: أبو منصور محمد بن محمد بن محمود الماتُريدي السمرقندي المعروف باسم أبي منصور الماتريدي المتكلم الملقب بإمام الهدى،

(١) أي: فني طعامهم.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الشركة، باب: الشركة في الطعام والنهد والعروض، رقم: (٢٣٥٤) ٢/ ٢٨٠.

وعلم الهدى، ومذهبه منتشر في تركيا وبلاد ما وراء النهر مثل: أوزباكستان، وكازاخستان، وقيرغيزستان، وباكستان، والهند، وغيرها.

ومن أشهر السادة الأشاعرة الذين كان لهم الأثر الكبير في علم العقيدة والكلام: ابن فورك والباقلاني والبغدادي والبيهقي والجويني والغزالي والرازي وسيف الدين الآمدي وعضد الدين الإيجي، وغيرهم وبعدهم كثير، وتوالت الطبقات جيلًا بعد جيل إلى أن وصلوا إلى عصر الشيخ اللَّقَاني.

وهناك من يحاول - في هذه الأيام - التعتيمَ على مذهب أهل السنة، ويدعو إلى تركه والتمسك بمذاهبَ أخرى، رغم أن مذهب أهل السنة يؤمن به أكثر المسلمين في العالم الإسلامي اليوم، وهؤلاء يرددون أن الأشاعرة والماتريدية لا يمثلون مذهب السلف، وأن مصطلح أهل السنة لا يشمل الأشاعرة ولا الماتريدية، وجعلوا مصطلح «السلف» حِكْرًا عليهم فقط؛ ظنًّا منهم أن الأشاعرة والماتريدية خالفوا السلف، وأنهم وحدهم من يمثلون السلف، وهذا خطأ منهم؛ لجهلهم بحقيقة مذهب السلف، ولهذا خالفوا السلف في تقرير العقائد.

وقد رأى الأزهر الشريف تدريس هذه المنظومة على المرحلة الثانوية حتى يرتبط طلاب الأزهر بالعقيدة الأشعرية ويحفظوها، والحفظ وحده لا يكفي؛ لذا اختار الأزهر من شروح هذه العقيدة هذا الشرح الذي بين أيدي أبنائنا الطلاب.

ومن هنا كان لزامًا عليك أخي الطالب أن تتعرف على عقيدتك، وأنها تقرير لما كان عليه السلف الصالح رضوان الله عليهم أجمعين.

وقد اهتمت اللجنة التي قامت على إخراج هذا الكتاب بعدة منطلقات أساسية في إعداده نُجْمِلُها فيما يلي:

١ـ تحديد أهداف عامة للكتاب تسهم في توضيح ما يتعلق بنوعية المحتوى الذي يحتاجه الطلاب، واختبار خبراته التعليمية من معارف ومهارات وطرق تفكير ...

٢ـ الاهتمام بالمرحلة العمرية التي يمر بها الطلاب، وهي مرحلة تتطلب فهم المجردات بأسلوب مبسط.

٣ـ الاهتمام باللغة المستخدمة في الكتاب، حيث روعي في الصياغة تيسير ما غمض من عبارات الكتاب، من خلال اختيار جمل بسيطة ومفردات في متناول الطالب.

٤ـ استبعاد ما لا صلة له بعلم التوحيد من تفريعات؛ تيسيرًا على الطالب مما له علاقة بالعلوم الأخرى كالفقه وعلوم اللغة وغيرها.

٥ـ استبعاد أبيات المنظومة التي لا تناسب الطلاب الذين أُعِدَّت لهم هذه الطبعة.

٦ـ إضافة عنوان لكل مبحث وعناوين أُخرى فرعية تُعين على فهم المادة العلمية، وتسهم في إثراء خبرات الطلاب، وزيادة رغبتهم في التعلم.

٧ـ إتباع كل درس بعدة اختبارات متنوعة ـ مقالية وموضوعية ـ من شأنها قياس ما حصله الطلاب من معارف ومعلومات وتعمل على زيادة فاعلية تحصيل المعلومات لديهم، على اعتبار أن التقويم له دور مهم في ذلك.

٨ـ استبعاد الهوامش وما تضمنته من شروحات.

ونرى أن هذه خطوة أولية سوف تتبع بخطوات أخرى تستهدف تيسير محتوى المادة والإفادة منها غاية الإفادة.

وفي النهاية نسأل الله العليَّ القدير أن يجعل عملنا خالصًا لوجهه الكريم، وأن يفيد منه طلاب العلم. إنه نعم المجيب.

لجنة المناهج بالأزهر الشريف

* * *

أهداف دراسة علم التوحيد في الصف الأول الثانوي

يتوقع من الطالب بعد دراسة هذا المقرر تحقيق ما يلي:

١ـ يوضح المقصود بعلم التوحيد، وموضوعه، وفضله، ونسبته، وواضعه، واسمه، وحكمه، ومسائله.

٢ـ يذكر تعريف التكليف، وشروطه، موضحًا حكم من لم تبلغه الدعوة في عصرنا الحاضر.

٣ـ يتعرف بعض الأحكام الاعتقادية المتعلقة بالتكليف.

٤ـ يوضح المقصود بمعرفة اللَّه تعالى، وحكمها، ودليلها، وطريق وجوبها.

٥ـ يذكر تعريف الحكم، مميزًا بين الحكم العقلي والشرعي، وموضحًا أحكام الحكم العقلي.

٦ـ يوضح معنى التقليد، مميِّزًا بين حكم إيمان المقلِّد، وحكم إيمان العوام.

٧ـ يوضح آراء العلماء في أول ما يجب على المكلَّف.

٨ـ يحدد المقصود بالنظر في اللغة والاصطلاح، موضحًا طرقه.

٩ـ يتعرف معنى الإسلام والإيمان، موضحًا بعض الأحكام المتعلقة بهما، موفقًا بين أقوال أهل العلم في زيادة الإيمان ونقصانه، ومبينًا الموقف الصحيح من المسلك التكفيري الذي انتشر في واقعنا المعاصر.

١٠ـيفرق بين التأويل والتشبيه والتعطيل، موضحًا للنصوص الموهمة للتشبيه.

١١ـ يعتقد قِدَمَ القرآن الكريم، مُنَزِّهًا إياه عن الحدوث.

١٢ـ يُعَظِّمُ الله تعالى باعتقادِ ما يجب له، وما يجوز في حقه، وما يستحيل عليه سبحانه وتعالى.

١٣ـ يصنف الصفات الواجبة لله تعالى، موضحًا المقصود بكل صفة، مستدلًّا بالنقل والعقل على إثباتها لله تعالى.

* * *

مقدمة الجوهرة وشرحها

قَالَ النَّاظِمُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحَمْـدُ لله عَـلَى صِلاتِـهِ ** ثُـمَّ سَـلامُ اللهِ مَـعْ صَلَاتِـهِ

عَـلَى نَبِـيٍّ جَـاءَ بِالتَّوْحِيـدِ ** وَقَدْ خَلَا الدِّينُ عَنِ التَّوْحِيدِ

مُحَمَّـدِ الْعَاقِـبْ لِرُسْـلِ رَبِّـهِ ** وَآلِـهِ وَصَحْبِـهِ وَحِزْبِـهِ

سبب جمع الناظم بين البسملة والحمدلة في مقدمته:

جمع الناظم رَحِمَهُ اللَّهُ في افتتاحية مقدمته بين البسملة والحمدلة؛ اقتداءً بالقرآن الكريم؛ حيث افتَتَح بالبسملة والحمدلة، وعملًا بقول رسول الله ﷺ؛ حيث جاء في الحديث عن رسول الله ﷺ: «كل أمر ذي بالٍ لا يُبْدَأ فيه ببسم الله الرحمن الرحيم فهو أقطع»[1]، وقوله ﷺ: «كلُّ أمرٍ ذي بالٍ لا يُبدأ فيه بالحمدُ لله أقطع»[2]. أي: ناقص وقليل البركة.

الحمدلة وما يتعلق بها :

تعريف الحمد:

الحمد لغة: الثناء بالكلام الجميل الاختياري على جهة التبجيل والتعظيم سواء أكان في مقابلة نعمة أم لا[3].

واصطلاحًا: فعل ينبئ عن تعظيم المنعم، من حيث كونه منعمًا على الحامد أو غيره سواء كان ذلك قولًا أو اعتقادًا أو عملًا.

(١) أخرجه أحمد في مسنده.

(٢) رواه ابن ماجه، والبيهقي عن أبي هريرة.

(٣) مثلًا: إذا أكرمك زيدٌ قلت: (زيد كريم) فهذا في مقابل نعمة، وإذا ما وجدت زيدًا يصلي صلاة تامة قلت: (زيدٌ رجل صالح) فهذا ليس في مقابلة نعمة.

أقسام الحمد:

١ – حمد قديم لقديم[١].
٢ – حمد قديم لحادث[٢].
٣– حمد حادث لقديم.
٤ – حمد حادث لحادث.

أركان الحمد خمسة:

حامد، ومحمود، ومحمود به، ومحمود عليه، وصيغة[٣].

والصِّلات جمع صِلة؛ وهي: العطية، والمعنى: الحمد لله على نعمه التي هي صِلات وصل بها عباده.

معنى الصلاة والسلام على رسول الله ﷺ:

معنى سلام الله: تحيته اللائقة به ﷺ بحسَب ما عنده تعالى، كما تشعر به إضافته له تعالى، فالمطلوب تحية عظمى بلغت الدرجة القصوى، فله أعظم التحيات؛ لأنه ﷺ أعظم المخلوقات.

ومعنى (صَلاته) : رحمته المقرونة بالتعظيم، وقيل: هي مطلق الرحمة.

وقد فسر الجمهور الصلاة من الله : بالرحمة، ومن الملائكة: بالاستغفار، ومن غيرهم: بالتضرع والدعاء.

---

(١) يقصد بالقديم: الله سبحانه وتعالى.
(٢) يقصد بالحادث: كل ما سوى الله تعالى.
(٣) الحامد: هو فاعل الحمد.
المحمود: هو من وقع عليه الحمد.
المحمود به: هو مدلول صيغة الحمد.
المحمود عليه: هو السبب الباعث على الحمد.
الصيغة: اللفظ الدال على الحمد.

تعريف النبي:

قَالَ النَّاظِمُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

عَلَى نَبِيٍّ جَاءَ بِالتَّوْحِيدِ ⁂ وَقَدْ خَلَا الدِّينُ عَنِ التَّوْحِيدِ

تعريف النبي:

النَّبِيءُ: بالهمز وتركه: مأخوذ من النبأ: وهو الخبر، أو مأخوذ من النبوة : وهي الرفعة.

وعبر بالنبي ولم يعبر بالرسول: إشارة إلى أنه يستحق الصلاة والسلام بوصف النبوة كما يستحقها بوصف الرسالة، وموافقة لقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ ﴾(١).

والنبي: إنسان ذكَرٌ حرٌّ من بني آدم، سليمٌ عن منفِّرٍ طبعًا، أُوحي إليه بشرع يعمل به، وإن لم يؤمر بتبليغه.

أما الرسول فهو: إنسان ذكر حرٌّ من بني آدم، سليم عن مُنفِّرٍ طبعًا، أُوحي إليه بشرع يعمل به، وأُمِر بتبليغه.

فبين النبي والرسول عموم وخصوص مطلق؛ لأن كلَّ رسولٍ نبي ولا عكس.

نشاط: عزيزى الطالب: فرق بين كل من:

أ) النبي والرسول.

ب) الحامد والمحمود .

جـ) المحمود به والصيغة.

---

(١) سورة الأحزاب آية ٥٦ .

المبادئ العشرة لعلم التوحيد[1]

قَالَ النَّاظِمُ رَحِمَهُ اللهُ:

عَلَى نَبِيٍّ جَاءَ بِالتَّوْحِيدِ	❊	وَقَدْ خَلَا الدِّينُ عَنِ التَّوْحِيدِ

التعريف بعلم التوحيد:

للتوحيد ثلاثة معانٍ:

أحدها لغوي: وهو العلم بأن الشيء واحد.

وثانيها شرعي: وهو إفراد المعبود بالعبادة، مع اعتقاد[2] وحدانيته، والتصديق بها ذاتًا وصفاتٍ وأفعالًا، فليس هناك ذات تشبه ذاته تعالى، ولا صفة تشبه صفاته، ولا فعل يشبه أفعاله.

- أو هو إثبات ذات غير مُشبِهة للذوات، ولا معطَّلة عن الصفات.

وثالثها اصطلاحي: بمعنى العلم المدوَّن؛ أي: تطبيق القواعد العامة لعلم التوحيد، وهو: علم يُقتدر معه على إثبات العقائد الدينية المكتسبة من أدلتها اليقينية بإيراد الحجج ودفع الشبه، أو هو علم يُبْحثُ فيه عن ذات الله، وصفاته، وذات رسله، وعن أحوال الممكنات والسمعيات.

وليس المقصود بالبحث عن ذات الله معرفة حقيقتها، فإن هذا مما تتقاصر عنه الهمم فلا يعرف الله إلا الله، وإنما المقصود معرفة ما يجب له - سبحانه - من

---

(١) إن مبادي كل فن عشره ❊ الحدُّ والموضوع ثم الثمره
وفضله ونسبة والواضع ❊ والاسم الاستمداد حكم الشارع
مسائل والبعض بالبعض اكتفى ❊ ومن درى الجميع حاز الشرفا

(٢) المراد بالاعتقاد هنا: الجزم المطابق للحق.

صفات الجلال والكمال، وما يجوز من الأفعال، وما يستحيل عليه من كل ما لا يليق به، والبحث عن الصفات من حيث إثباتها بالأدلة اليقينيَّة، وتقسيمها إلى نفسيَّة، وسلبيّة، ومعانٍ، ومعرفة ما يتعلق منها وما لا يتعلق.

أما البحث عن الرسل، فمن حيث ما يجب لهم، وما يجوز، وما يستحيل عليهم، وعن حكم الرسالة، وإثباتها بالمعجزة، والبحث عن الممكنات، من حيث إثبات موجِدِها.

والبحث عن السمعيات، من حيث اعتقاد وجودها، ووقوعها كما أخبر بذلك المعصوم ﷺ.

موضوع علم التوحيد:

يُبحَث فيه عما يجب لله من صفات الجلال والكمال، وما يستحيل عليه من كل ما لا يليق به، وما يجوز من الأفعال، وعما يجب للرسل والأنبياء، وما يستحيل عليهم، وما يجوز في حقهم، وما يتصل بذلك من الإيمان بالكتب المنزَّلة، والملائكة الأطهار، ويوم البعث والجزاء، والقضاء والقدر.

ثمرته:

معرفة الله بالبراهين القطعية، والفوز بالسعادة الأبدية.

فضله:

هو أشرف العلوم؛ لأنه متعلق بذاته ـ تعالى ـ، وذات رسله، وما يتبع ذلك من أركان الإيمان، وشرف الشيء بشرف موضوعه.

نسبته:

هو بالنسبة للعلوم الشرعية أصل لها، وهي فروع ولوازم بالنسبة له.

واضعه:

ينسب وضع هذا العلم من حيث تدوين مسائله، والاستدلال عليها بإقامة الحجج ودفع الشبه، إلى الشيخين الجليلين: أبي الحسن الأشعري[1]، وأبي منصور الماتريدي[2]؛ لأنهما أشهر من ألَّف فيه ودوَّن كتبه، وردَّ على المنحرفين بالنقل والعقل على مذهب أهل السنة والجماعة.

أما إن أريد بالتوحيد العقيدة، فقد جاء بها الرسل في جميع الشرائع، من آدم إلى خاتمهم نبينا محمد عليهم السلام، وهي عقيدة باقية لا تتغيَّر إلى يوم القيامة.

اسمه:

يُطلَق على هذا العلم عدَّةُ أسماء: أشهرها علم التوحيد؛ لأن مبحث الوحدانية أهم مباحثه وأشهرها.

ويسمى أيضًا علم الكلام؛ لأن المتقدِّمين كانوا يبدؤون مباحثه بقولهم: الكلام في كذا، أو لأنه كثر الكلام والاختلاف في صفة الكلام الواجبة لله تعالى.

وله أسماء أخرى، منها علم أصول الدين، وعلم العقيدة، والفقه الأكبر.

استمداده:

أدلته مستمدة من الأدلة النقلية ـ القرآن الكريم والسنة النبوية ـ والأدلة العقلية اليقينية المعتَمدَة على القواعد المنطقية.

---

(١) أبو الحسن الأشعري ولد بالبصرة ٢٦٠هـ، توفي في بغداد ٣٢٤هـ وهو من نسل الصحابي الجليل أبي موسى الأشعري (رضي الله عنه).

(٢) هو أبو منصور الماتريدي، ولد في عهد الخليفة العباسي المتوكل، وتُوفِّي ٣٣٣هـ، وهو من ماتريد إحدى بلاد ما وراء النهر (أوزباكستان وكازاخستان حاليًّا).

حكمه شرعًا:

الوجوب العيني على كل مكلَّفٍ من ذكر وأنثى .

فيجب شرعًا ـ وجوبًا عينيًّا ـ على كل مكلَّف من ذكر أو أنثى أن يعرف مسائل هذا العلم، ولو بطريق الإجمال.

وأما معرفة مسائل هذا العلم بالأدلة التفصيلية فهي فرض كفاية إذا قام بها البعض سقط الطلب عن الباقين.

والدليل الإجمالي أي: في الجملة ـ هو الذي يعجز من يستدل به عن ذكر تفاصيله، والجواب عن الشُّبَه الموجهة إليه، وأما الدليل التفصيلي فهو الذي يستطيع صاحبه تقريره، وحلَّ الشُّبه الموجَّهة إليه. مثال ذلك إذا قيل لك: ما الدليل على وجود الله تعالى؟ فقلت: العالَم، ولم تعرف جهة الدلالة، فهو دليل إجمالي، وكذلك إذا عرَفت جهة الدلالة، ولم تقدر على حلِّ الشُّبَه الواردة عليه.

أما إذا عرَفت جهة الدلالة فقلت: العالَم حادثٌ، وقدَرت بعد ذلك على إقامة دليل الحدوث؛ وردِّ الشُّبَه الواردة عليه، فهذا دليل تفصيلي.

مسائله:

قضاياه التي تبحث عن الواجبات، والجائزات، والمستحيلات. وتُعتبر هذه مبادئ ومقدمات للعلم.

فهذه هي مبادئ هذا العلم؛ لأنها اسم لمعانٍ يتوقف عليها الشروع في المقصود.

تعريف الدين:

الدين: يُطلَق لغة على عدة معانٍ منها : الطاعة، والعبادة، والجزاء.

واصطلاحًا: هو ما شرعه الله تعالى على لسان نبيه من الأحكام .

ويسمَّى دينًا: لأننا نَدِين له وننقاد.

ويسمَّى أيضًا مِلَّةً : من حيث إن الملَكَ يُمليه على الرسول وهو يمليه علينا.

ويسمَّى شرعًا وشريعة : من حيث إن الله تعالى شرعه لنا ، أي : بيَّنه لنا على لسان نبيه ﷺ .

نشاط

تعاون مع زملائك في مكتبة المعهد، واستنبط الفرق بين الدين، والملة، والشريعة، موضحًا العلاقة بينَهنَّ.

١ـ سيدنا محمد ﷺ خاتم الأنبياء عليهم السلام

قَالَ النَّاظِمُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

مُحَمَّدٌ[١] العَاقِبْ لِرُسْلِ رَبِّهِ   وآلِهِ وَصحْبِهِ وحِزْبِهِ

(مُحَمَّد) هو أشرف أسماء النبيِّ ﷺ ، وهو عَلَمٌ منقولٌ من اسم مفعول الفعل المضعَّف العين – المكرَّر العين – ولذلك كان أبلغ من محمود، وهو يفيد المبالغة في المحمودية؛ فهو ﷺ أجلُّ مَن حُمِد، وأعظم مَن حَمِد.

(العاقب) نعت لمحمد ﷺ وهو الذي يأتي في العقب، وفسروه بأنه الذي يُـحشر الناس على قدمه؛ أي: طريقته وشرعه.

والرسالة أفضل من النبوة:

فقد عبر الناظم بـ (رسل ربه)؛ لأنه أمدح، فإن الرسالة أشرف من النبوة، لجمعها بين الحق والخلق.

خلافًا للعز بن عبدالسلام في قوله: بأن النبوة أفضل، معللًا ذلك بأن فيها الانصراف من الخلق إلى حضرة الحق، والرسالة فيها الانصراف من حضرة الحق إلى الخلق.

ورد عليه: بأن الرسالة فيها الجمع بينهما.

(١) يجوز في اللفظ الشريف أوجه الإعراب الثلاثة: الرفع على أنه خبر لمبتدأ محذوف أي هو محمدٌ، وهذا هو الأولى من جهة التعظيم؛ ليكون الاسم الشريف مرفوعًا وعمدة ،كما أن مدلوله مرفوع الرتبة وعمدة الخلق،والنصب على أنه مفعول لفعل محذوف تقديره: أعني محمدًا، والجر على أنه بدل أو عطف بيان ومنع من الصرف للضرورة.

(ربه): أي: خالقه أو مالكه، أو نحو ذلك من معاني الرب المنظومة في قول السجاعي:

قَـريبٌ مُحيـطٌ مـالكٌ ومُدبرٌ ... مُـرَبٍّ كَثيـرُ الخَيـرِ والـمُولي للنِّعـمْ

وخالقُنا المعبودُ جابر كسرِنا ... ومُصلِحُنا والصَّاحبُ الثابت القدمْ

وجامعنا والسيِّد، احفظ فهذه ... معـانٍ أتتْ للرَّبِّ فـادعُ لمـن نَظَـمْ

(وآله): أي: وسلام الله مع صلاته على آله.

والآل: له معانٍ باعتبار المقامات.

ففي مقام الدعاء كما هنا: كل مؤمن ولو عاصيًا؛ لأن العاصي أشد احتياجًا للدعاء من غيره.

وفي مقام المدح: كل مؤمن تقي.

وفي مقام الزكاة: بنو هاشم وبنو المطلب عند الشافعية وبنو هاشم فقط عند المالكية والحنابلة.

وخصت الحنفية فرقًا خمسة: آل عليٍّ، وآل جعفر، وآل عَقِيل، وآل العباس، وآل الحارث.

(وصحبه): أي: صحابته ﷺ ، والصحابي: هو من اجتمع بنبينا ﷺ مؤمنًا به بعد البعثة في محل التعارف - بأن يكون على وجه الأرض -وإن لم يره أو يرو عنه شيئًا أو لم يميز على الصحيح.

(وحزبه): أي: جماعته ﷺ، والحزب: الجماعة الذين أمرهم واحد في خير أو شر ومنه قوله تعالى: ﴿ كُلُّ حِزْبِۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴾ [1] والظاهر: أن المراد به هنا من غلبت ملازمته له ﷺ ، ويحتمل أن يراد به أتباعه مطلقًا، سواء أكانوا في عصره أم لا؛ وهو أولى لما فيه من التعميم.

---

(١) سورة الروم آية ٣٢.

حكم معرفة عقائد التوحيد:

وَبَعْدُ فَالْعِلْمُ بِأَصْلِ الدِّينِ ** مُحَتَّمٌ يَحْتَاجُ لِلتَّبْيِينِ
لكِنْ مِنَ التَّطْوِيلِ كَلَّتِ الْهِمَمْ ** فَصَارَ فِيهِ الِاخْتِصَارُ مُلْتَزَمْ
وَهذِهِ أُرْجُوزَةٌ لَقَّبْتُهَا ** جَوْهَرَةَ التَّوْحِيدِ قَدْ هَذَّبْتُهَا
وَاللهَ أَرْجُو فِي الْقَبُولِ نَافِعًا ** بِهَا مُرِيدًا فِي الثَّوابِ طَامِعًا

العلم بأصول الدين وقواعده محتم، أي: حتَّمه الشارع وأوجبه ولم يرخص في تركه؛ لقوله تعالى: ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾[1]

فهذا العلم يحتاج للتبين، إلا أنه لا ينبغي المبالغة معه في تطويل العبارة؛ لأنها تؤدي إلى الملل والسآمة.

وقوله: (أُرجوزة) أي: منظومة من بحر الرجز، صغيرة الحجم، أبياتها مائة وأربعة وأربعون، فهي مما يرغب فيه؛ لأنها نظم، والنظم أعذب وأحلى من النثر، ولأنها من بحر الرجز، وهو أسهل من غيره من البحور.

- سماها الناظم (جوهرة التوحيد) وهو اسم مشعر بمدحها، صفَّاها ونقحها من الشُّبه والعقائد الفاسدة والحشو والتطويل، وهو يرجو من الله وحده القَبول والثواب منها.

---

(١) سورة محمد آية ١٩ .

المناقشة والتدريبات

س١ : أ) لِـمَ جمع الناظم في مقدمته بين البسملة والحمدلة؟

ب) ما موضوع علم التوحيد؟ وما ثمرته؟ وما فضله؟

س٢ :للتوحيد ثلاثة معانٍ، اذكرها إجمالًا.

س٣: مَن واضع علم التوحيد؟ وما حكمه شرعًا؟ وما مسائله؟

س٤ : ما الفرق بين كل من(الدين–الملة–الشريعة)؟

س٥ : ضع علامة (√) أمام العبارة الصحيحة، وعلامة (×) أمام العبارة الخطأ مع تصويب الخطأ فيما يأتي:

أ–واضع علم التوحيد الإمام الغزالي. ( )

ب– من أسماء علم التوحيد "الفقه الأكبر". ( )

جـ–العلوم أصل وعلم التوحيد بالنسبة لها فرع. ( )

د–أدلة علم التوحيد العقلية معتمدة على القواعد المنطقية. ( )

هـ–يبحث علم التوحيد في الواجبات والجائزات فقط. ( )

س٦ :تخير الإجابة الصحيحة مما بين الأقواس فيما يلي:

أ–البحث في السمعيات يكون باعتقاد

(وجودها–وقوعها–وجودها ووقوعها).

ب–علم التوحيد بالنسبة للعلوم

(فرع وهي أصل له– فرع وهي لازمة له–أصل وهي فروع ولازمة له).

جـ–أدلة علم التوحيد مستمدة من الأدلة(العقلية– النقلية–النقلية والعقلية).

٢ـ التكليف والمكلَّف

قَالَ النَّاظِمُ رحمه الله:

فكُلُّ مَنْ كُلِّفَ شرعًا وَجَبَا　　　عَليهِ أَنْ يَعرِفَ مَا قَدْ وَجَبَا

تجب معرفة الله ـ تعالى ـ على كل فرد من المكلَّفين من الإنس والجن، ذكَرًا كان أو أنثى، دون الملائكة على المشهور؛ لأنهم خُلِقوا وجُبِلوا على المعرفة والطاعة، فليس منهم من يجهل صفاته تعالى ، ولذا قال تعالى : ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ﴾ ثم قال ﴿ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ ﴾ فلم يطلق الأمر كما أطلقه في الملائكة.

تعريف التكليف:

التكليف: طلب ما فيه كُلفةٌ ومشقّةٌ، أو هو إلزام ما فيه كُلفةٌ ومشقّة وهو الراجح.

والأحكام التكليفية خمسة: الإيجاب، والندب، والتحريم، والكراهة، والإباحة.

فعلى القول بأن التكليف طلب ما فيه كُلفَة، فهو يشملها ما عدا الإباحة؛ إذ لا طلب فيها وهي ليست تكليفًا، وعلى القول بأنَّه إلزام، فلا يشمل إلا الواجب والمحرَّم، لأن الندب والكراهة والإباحة لا إلزام فيها.

ولما كان التكليف طلبًا أو إلزامًا، فلا بدَّ أن يكون المكلَّف قابلًا لهذا التكليف مستعِدًّا له، قادرًا عليه؛ وإلا سقط التكليف.

تعريف المكلَّف:

هو البالغ العاقل، سليم الحواسِّ، الذي بلغته الدعوة[١].

(١) هذا في الإنس أما الجن فهم مكلفون من أصل الخلقة من حيث الولادة فلا يتوقف تكليفهم على البلوغ .

شروط التكليف:

ذكر الشارح أربعة شروط للتكليف وهي:

١ـ البلوغ. ٢ـ العقل. ٣ـ بلوغ الدعوة. ٤ـ سلامة الحواس.

محترزات الشروط:

١ـ وخرج بشرط البلوغ: الصبي، فليس مكلَّفًا، فمن مات قبل البلوغ فهو ناجٍ، ولو كان من أولاد الكفار، ولا يعاقب على كفرٍ ولا غيره، وذلك لقوله ﷺ: «رُفِعَ القَلَمُ عن ثلاث .. والصبي حتى يبلغ»[(١)]. خلافًا للحنفية فقد قالوا: بتكليف الصبي العاقل بالإيمان ؛ لوجود العقل [(٢)].

٢ـ وخرج بشرط العقل المجنون، فليس بمكلف، ومثله السكران غير المتعدي، فإن تعدَّى بسكره، كأن تعمَّد شُرب المسكر، وهو عالم بحاله، فهو مكلَّف كالعاقل، لكن محلّ ذلك إن بلغ مجنونًا أو سكرانَ، واستمرَّ على ذلك حتى مات، بخلاف ما لو بلغ عاقلًا ثم جُنَّ أو سكِر متعديًا ثم مات، فهو على ما كان عليه قبل ذلك.

٣ـ وخرج بمن بلغته الدعوة، من لم تبلغه، وذلك بأن نشأ في معزِلٍ عن الناس، ولم يتَّصل بأحد، أو كان في مكانٍ بعيدٍ لم تصل الدعوة إليه، أو بلغته الدعوة بلوغًا مشوَّهًا، كعوامِّ الأجانب الذين لم يعرفوا عن الإسلام إلا ما نقله لهم رؤساؤهم الدينيون نقلًا غير صحيح، وهم في غير دار الإسلام، فليس بمكلَّف على الأصحِّ، خلافًا لمن قال بأنه

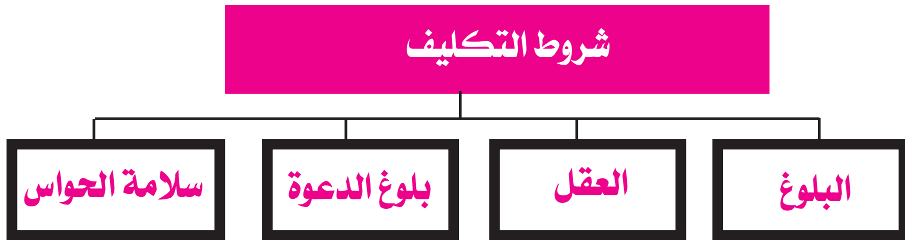
(١) أخرجه أحمد في مسنده.

(٢) أما في الشرائع فمعذور حتي تقوم عليه الحجة وهذا مروي عن أبي حنيفة. وقوله (رفع القلم ..... محمول على الشرائع دون الإيمان) .

مكلف؛ لوجود العقل الكافي في وجوب المعرفة عندهم، وإن لم تبلغه الدعوة.

ولا بد من بلوغ دعوة الرسول للمُكَلَّفِ الذي أُرْسِلَ إليه.

٤ـ وخرج بشرط سلامة الحواس من فَقَدَ حواسَّه التي تمكِّنه من العلم بدعوة الرسول ﷺ، فلو خلق الله إنسانًا أعمى أصمَّ وليست هناك وسيلة يعلم بها لسقط عنه وجوب النظر والتكاليف.



التعريف بأهل الفترة وحكمهم:

أهل الفَتْرَة هم من كانوا بين أزمنة الرسل، أو في زمن رسول لم يُرسَل إليهم، وحكمهم أنهم ناجون، وهذا هو الصحيح على مذهب أهل السنة؛ لورود الأدلة النقليَّة الصريحة على ذلك، قال تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾[1].

شبهةٌ وردٌّ:

إن قيل: كيف هذا مع أن النبي ﷺ أخبَرَ بأن جماعة من أهل الفترة في النار، كامرئ القيس، وحاتم الطائي، وبعض آباء الصحابة، فإن بعض الصحابة سأل النبي ﷺ وهو يخطب فقال: أين أبي؟ فقال النبي ﷺ: «في النار»[2].

أجيب: بأن الأحاديث الواردة في هذا أحاديث آحاد[3]، وهي لا تعارض القطعيَّ، وهو قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾[4].

كما أنه يجوز أن يكون تعذيب من صحَّ تعذيبه منهم؛ لأمر يختصُّ به يعلمه الله تعالى ورسوله ﷺ.

حكم أبوي النبي ﷺ:

إذا كان أهل الفترة ناجين، فإن أبوي النبي ﷺ ناجيان؛ لكونهما من أهل الفترة، بل جميع آبائه وأمهاته ﷺ ناجون، لم يدخلهم كفرٌ، ولا رجسٌ، ولا عيبٌ، ولا شيءٌ مما كان عليه أهل الجاهلية؛ لأدلَّة نقليَّة كقوله تعالى: ﴿وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ﴾[5]، وقوله ﷺ: «لم أزل أتنقل من الأصلاب الطاهرات إلى الأرحام

(١) سورة الإسراء . الآية: ١٥.
(٢) أخرجه مسلم.وأبو داود
(٣) خبر الآحاد: هو ما رواه راوٍ واحد، أو أكثر، ولم يصل إلى حد التواتر.
(٤) سورة الإسراء . الآية: ١٥.
(٥) سورة الشعراء . الآية: ٢١٩.

الزاكيات»[1]، وغير ذلك من الأحاديث البالغة مبلغ التواتر[2].

حكم من لم تبلغه الدعوة في وقتنا الحاضر:

يسري حكم أهل الفترة على من لم تبلغه الدعوة في وقتنا الحاضر؛ لاشتراكهم معهم في عدم وصول الدعوة إليهم، ومع ذلك فإن مسئولية عدم تبليغهم تقع على كل مسلم قادر، كلٍّ حسب قدرته وعلمه وطاقته.

والخلاصة:

أن المعرفة تجب على كل مكلف.

والمكلف هو البالغ العاقل سليم الحواس الذي بلغته الدعوة، فالمعرفة لا تجب على الصبي، ولكن يجب على وليه تعليمه العقيدة ومبادئ الدين حسب قوة فهمه؛ لينشأ مسلمًا واعيًا سليمَ العقيدة، ولتحفظه العقيدة من الزيغ إذا بلغ، ولا تجب المعرفة على المجنون، ولا على فاقد السمع والبصر معًا؛ لأنه لا طريق لمعرفته فإذا وجدت طريقة للمعرفة وجبت عليه، كما لا تجب المعرفة على من مات قبل بعثة الرسول ﷺ، يعني من مات في فترة ليس فيها رسول مبعوث أو يوجد رسول ولكنه مرسل إلى قوم دون آخرين.

فالمرسَلُ إليهم هم المكلفون المسئولون إذا بلغتهم دعوة رُسُلِهم، ومن لم يُرسَل إليهم رسول يعتبرون معذورين، وكذلك من أُرسِل إليهم رسول ولم تبلغهم دعوته، والدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾[3].



---

(١) أخرجه أبو نعيم في دلائل النبوة من حديث عبدالله بن عباس.
(٢) الحديث المتواتر: هو ما رواه جمع عن جمع، يحيل العقل تواطؤهم على الكذب.
(٣) سورة الإسراء. الآية: ١٥.

المناقشة والتدريبات

قَالَ النَّاظِمُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

فكُلُّ مَنْ كُلِّفَ شرعًا وَجَبَا   عَليهِ أَنْ يَعرفَ مَا قَدْ وَجَبَا

س١ :في ضوء فهمك للبيت السابق أجب عما يأتي:

أ-ما المقصود بـ(التكليف-المكلف)؟ وما الأحكام التكليفية الخمسة؟

ب-للتكليف شروط أربعة، اذكرها إجمالًا.

س٢:ما المقصود بأهل الفترة؟ وما حكمهم؟مع الدليل.

س٣:إن قيل: إن أهل الفترة ناجون،فكيف ترد على من يقول: بأن النبي ﷺ أخبر أن جماعة من أهل الفترة في النار؟

س٤:ما حكم أبوي النبي ﷺ؟ دلل على ما تقول.

س٥: ما حكم من لم تبلغه الدعوة في وقتنا الحاضر؟

س٦: ضع علامة (√) أمام العبارة الصحيحة، وعلامة (×) أمام العبارة الخطأ مع تصويب الخطأ فيما يأتي:

أ- من مات قبل البلوغ فهو ناجٍ ولو كان من أولاد الكفار. ( )

ب- لا بد من بلوغ دعوة الرسول للمكلَّف الذي أُرسل إليه. ( )

جـ- يسري حكم أهل الفترة على من لم تبلغه الدعوة في وقتنا الحاضر. ( )

د- المعرفة واجبة على كل مكلف. ( )

هـ- لا تجب معرفة الله اتعالى على الملائكة على المشهور. ( )

و-يسقُط التكليف عن المكلف إذا كان غير مستعد له. ( )

ز-جميع آباء النبي ﷺ وأمهاته ناجون. ( )

٣ـ ما يجب على المكلف وأقسام الحكم العقلي

قَالَ النَّاظِمُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

فـكلُّ منْ كُلِّفَ شرعًـا وَجَبَا ** عليـه أن يَعْـرِفَ ما قـد وَجَبَا

لله والجائـــزَ والمُمتَنِعَـــا ** ومِثْـلَ ذا لرُسْـلِهِ فاسْـتَمِعا

المعرفة لغة واصطلاحًا:

المعرفة في اللغة: الإدراك والعلم.

وفي الاصطلاح: المعرفة والعلم، معناهما واحد ـ أي: مترادفان ـ وهي: الإدراك الجازم المطابق للواقع الناشئ عن دليل.

شرح التعريف وإخراج المحترزات:

الإدراك: جنسٌ في التعريف، يشمل الجازم وغير الجازم.

الجازم: قيد في التعريف، يخرج به الظنُّ، ـ وهو: إدراك الطرَف الراجح ـ ، ويخرج به الوهم، وهو: إدراك الطرَف المرجوح ، ويخرج به الشكُّ، وهو: استواء الطرفين.

المطابق للواقع: يخرج به غير المطابق، كجزم الـمُلحِد بعدم وجود الله.

عن دليل: يخرج به التقليد؛ لأنه ليس ناشئًا عن دليل؛ بل ناشئ عن الأخذ بقول الغير على ما سيأتي.

حكم معرفة الله:

أوجب الله ـ سبحانه ـ على كل فرد من أفراد المكلَّفين معرفته سبحانه وتعالى.

والمقصود بالمعرفة هنا: معرفة صفات الله ـ تعالى ـ، من حيث ما يجب، وما يجوز، وما يستحيل في حقه تعالى، وكذا الرسل عليهم السلام

وليس المقصود معرفة ذاته ـ تعالى ـ؛ لأن ذلك أمر لا سبيل إليه؛ إذ لا يعرف ذاته وكُنْهَ حقيقته إلا هو، وفي الحديث: «تفكَّروا في الخلق، ولا تَفكَّروا في الخالق، فإنه لا تحيط به الفكرة»[1]، فلا يعرف الله إلا الله، وتَرْكُ الإدْرَاكِ إِدْرَاكٌ، والبحث في الذات إشراك، سبحانه: ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴾[2].

فالمراد إذًا بمعرفة الله تعالى، معرفة صفاته وأسمائه وسائر أحكام الألوهية، لا معرفة ذاته وكنه حقيقته.

الدليل على وجوب معرفة الله :

قوله سبحانه: ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾[3]، وإجماع الأمة على وجوب الإيمان، ودعوة المخالفين إلى الإيمان، وعلى وجوب الفروع، كالصلاة، والصوم، وما لا يتمّ الواجب إلا به فهو واجب.

رأي العلماء في طريق وجوب المعرفة:

ذهب الأشاعرة إلى أن معرفة الله واجبة بالشرع، وكذلك سائر الأحكام؛ إذ لا حكم قبل ورود الشرع لا في الأصول، ولا في الفروع، فعند أهل السنة

(١) ذكره البغوي في «معالم التنزيل» (٧/ ٤١٧)، والذي في صحيح البخاري (يأتي الشيطان أحدكم فيقول: من خلق كذا؟ من خلق كذا؟ حتى يقول: من خلق ربك؟ فإذا بلغ أحدكم ذلك فليستعذ بالله ولينته).

(٢) سورة الأنعام . الآية: ١٠٣.

(٣) سورة محمد . الآية: ١٩.

الحَسَنُ: ما حسّنه الشرع، والقبيح ما قبّحه الشرع.

وذهبت المعتزلة إلى أن الأحكام كلها ثبتت بالعقل، وأما الشرع فإنما جاء مقرِّرًا ومؤكِّدًا لما أثبته العقل، وهذا بناءً على مذهبهم في التحسين والتقبيح العقليين، فعندهم أن الحسن هو: ما رآه العقل حسنًا، والقبيح هو: ما رآه العقل قبيحًا، وعندهم، أنه إذا أدرك العقل حُسْنَ شيءٍ حكم بوجوبه، ووجب أن يجيء الشرعُ فيه مطابقًا لما حكم به العقل.

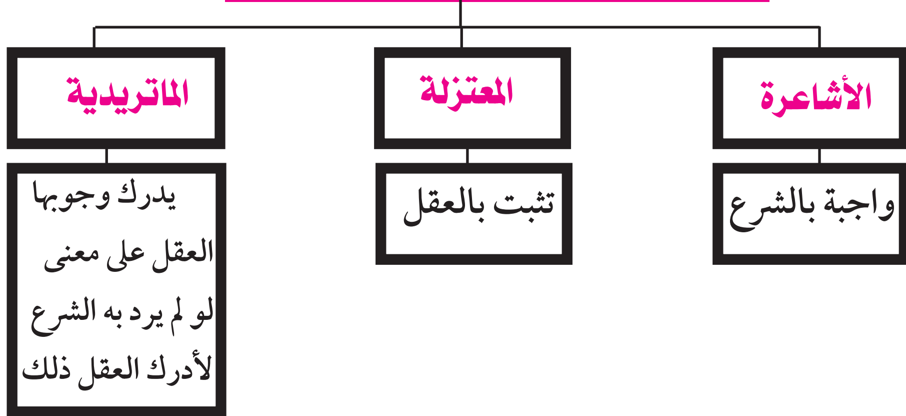
ومذهب الماتريدية، أن معرفة الله تعالى يدرك وجوبها العقلُ، لكن على معنى أنه لو لم يرد به الشرع لأدرك العقل ذلك استقلالًا لكونه أمرًا واضحًا، ولم يبنوا ذلك على التحسين العقلي، كما قالت المعتزلة .

والحق أن العقل لا يستقل بشيء أصلًا؛ فالمذاهب في مسألة المعرفة ثلاثة:

الأول: مذهب الأشاعرة، وحاصله أن جميع الأحكام – ومنها معرفة الله تعالى – إنما ثبتت ـ وجبت ـ بالشرع، ويكلَّف بها العقلاء أي بشرط العقل.

والثاني: مذهب الماتريدية، وحاصله أن معرفة الله وحدها، ثبتت بالعقل المستقيم الخالي من الهوى والتقليد وعدم اعتبار العقل سبيلًا لمعرفة الله يكون إهمالًا له ولوظيفته التي هي النظر والتفكير، أما سائر الأحكام، فلا تثبت إلا بالشرع.

والثالث: مذهب المعتزلة: وحاصله أن الأحكام كلها ـ ومنها معرفة الله تعالى ثبتت بالعقل، وجاء الشرع مبينًا ومؤكدًا لما أثبته العقل.


آراء العلماء في طريق وجوب المعرفة
الأشاعرة
المعتزلة
الماتريدية
واجبة بالشرع
تثبت بالعقل
يدرك وجوبها
العقل على معنى
لو لم يرد به الشرع
لأدرك العقل ذلك

الحكم وأقسامه

لما كان المكلف مطالبًا بمعرفة ما يجب وما يجوز وما يستحيل عليه سبحانه وتعالى يَحْسُنُ أن نبين معنى الحكم وأقسامه.

تعريف الحكم: هو إثبات أمرٍ لأمرٍ، أو نفيُه عنه، فقولنا: محمدٌ ناجحٌ، قضيةٌ موجبةٌ، أثبتنا فيها الأمر الثاني - وهو النجاح - للأمر الأول؛ وهو محمد.

وقولنا: محمد ليس بناجح، قضية سالبة، أي نفت النجاحَ عن محمد.

وينقسم الحكم إلى ثلاثة أقسام عقلي، وشرعي، وعادي.

فالحكم العقلي: هو إثباتُ أمرٍ لأمرٍ، أو نفيُه عنه، دون توقُّفٍ على تجرِبة، أو حكم الشارع.

كقولنا: الكلُّ أكبر من الجزء.

والحكم الشرعي: هو إثباتُ أمرٍ لأمرٍ، أو نفيُه عنه، استنادًا إلى القرآن الكريم، والسنة المطهرة.

كقولنا: حجُّ البيت الحرام واجبٌ على كل مسلم مستطيع.

والحكم العادي: هو إثبات أمرٍ لأمرٍ، أو نفيُه عنه، استنادًا إلى العادة والتجربة.

كقولنا: يقطع السكينُ اللحمَ، وقولنا: الغذاء الجيِّد يُقوِّي البدن ويُنَمِّيه.

والحكم العادي له اتصال وثيق بالكونيات، وسنن الله فيها، وما يجريه البشر عليها من التجارب، وما يستفاد منها بالتكرار.

والذي يهُمُّنا في دراسة علم العقيدة، هو الحكم العقلي وأقسامه، ويتوقف عليه الكثير من مسائله، فوجود الله ـ تعالى ـ واجب عقلًا، وإرسال الرسل جائزٌ عقلًا، ووجود شريك للباري مستحيلٌ عقلًا.

تعريف الحكم العقلي وأقسامه:

الحكم العقلي هو: إثبات أمرٍ لأمرٍ، أو نفيُه عنه، بواسطة العقل.

وأقسامه ثلاثة:

١ـ واجب. ٢ـ جائز. ٣ـ مستحيل.

١ـ الواجب: هو الأمر الثابت الذي لا يتصور العقل انتفاءه، وهو قسمان:

(أ) ضروري بدهي: يدركه كل إنسان بغير نظر مثل صغر الولد في السن عن أبيه، وكون الواحد أقل من الاثنين.

(ب) نظري: ما يصل الإنسان إليه بعد النظر والتفكير ويحتاج إلى دليل، مثل الحكم على العالم بالحدوث بعد العدم.

٢ـ الجائز: ويسمَّى الممكنَ: وهو الذي يقبل العقل ثبوته وعدمه تارة، والعدم تارة أخرى، وهو قسمان:

(أ) ضروري: كالحركة أو السكون للجسم.

(ب) نظري: كجواز تعذيب المطيع، وكجواز إثابة العاصي.

(٣) المستحيل: وهو ما لا يتصور في العقل وجوده، وهو قسمان:

(أ) ضروري: كخُلُوِّ الجسم عن الحركة والسكون، وأنَّ الابن أكبر من أبيه.

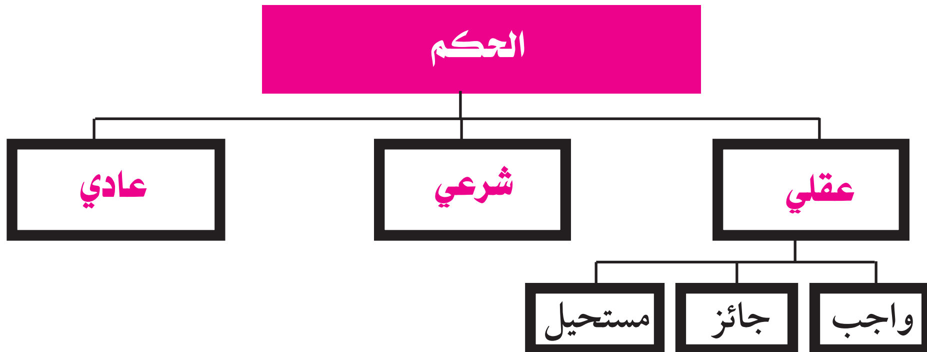
(ب) نظري: كالشريك له تعالى.

ومعنى كون الوجوب والاستحالة والجواز أحكامًا عقلية: أنها لازمة لما حُكِمَ له بها لا تقبل التخلف عنه ولا الانفكاك.

تنبيه:

ويلاحظ أننا نسبنا الوجوب والاستحالة والجواز إلى العقل، فالعقل الإنساني إذًا هو الذي يبحث، وهو الذي يحكم، وعلى أساس حكمه تبنى النتائج ـ فلا مجال هنا في إثبات العقيدة للتقليد، ولا للوراثة، ولا للعادات، ولا للأهواء، ولا للشهوات، إنما المجالُ مجالُ العقلِ السليمِ الحر.

وسوف نجد في مسيرتنا مع هذا العلم أننا نستدل بآيات من كتاب الله تعالى، فلا يقال ولا يجوز لأحد أن يقول: كيف تستدلون بكتاب الله على قضايا قررتم أن العقل هو الحَكَم فيها؟ لأننا نقول: إننا نستدل بكتاب الله تعالى فيما يعرضه علينا من آيات تُحرِّك عقولنا وتفتح لها مجالات البحث والمناقشة والمحاورة، ثم نترك الحكم على النتائج لعقولنا، فكتاب الله لنا هو النور الذي يَشِع، فندرك به السبل، ونعرف جوانب الطريق ومعالمه، ويكفيك دليلًا على أنه يسلك هذا السبيل بالنسبة للنائين عنه، قوله تعالى لرسوله ﷺ: ﴿ وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ﴾(١).



(١) سورة الكهف . الآية: ٢٩.

المناقشة والتدريبات

س١ :عرِّف المعرفة لغة واصطلاحًا، ثم اشرح التعريف.

س٢ :ما حكم معرفة الله تعالى؟ وما المقصود بمعرفته تعالى؟

س٣ :ما الدليل على وجوب معرفة الله تعالى؟ وما آراء العلماء في طريق وجوبها؟

س٤ : ما المقصود بالمصطلحات التالية(الحكم-الحكم العقلي-الحكم الشرعي-الحكم العادي)؟

س٥ : تخير الإجابة الصحيحة مما بين الأقواس فيما يلي:

أ-الحكم الذي له اتصال وثيق بالكونيات هو الحكم(العقلي-العادي-الشرعي).

ب-إرسال الرسل(واجب-جائز-مستحيل)عقلًا.

جـ-السكون للجسم(جائز بدهي-واجب ضروري-جائز ضروري).

د-ما يهمنا في دراسة علم العقيدة هو الحكم(العادي-الشرعي-العقلي).

هـ-إثبات العقيدة قد يكون بـ(التقليد-العادات-العقل السليم)

س٦ : مَثِّل لما يأتي:

أ-مستحيل عقلي ضروري.

ب- مستحيل عقلي نظري.

جـ-واجب عقلي نظري

د-واجب عقلي ضروري.

هـ-جائز عقلي نظري.

و-جائز عقلي ضروري.

٤ـ التقليد وحكم إيمان المقلد

قَالَ النَّاظِمُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

إِذْ كُلُّ مَـنْ قَلَّـدَ في التوحيـدِ ** إيمانُــه لم يَخْــلُ مِــن ترديــدِ
فَفِيه بعضُ القومِ يَحْكِي الخُلْفا ** وبعضُهـم حقَّقَ فيه الكشْـفَا
فقـال: إن يَجْـزِم بقـولِ الغيرِ ** كفـى وإلا لم يَـزَلْ في الضَّـيْرِ

تعريف التقليد:

هو اعتقاد قول الغير اعتقادًا جازمًا بلا دليل، كاعتقادك وجوب القدرة لله بناءً على قول الغير من غير أن تعرف الدليل، فإذا عرفت الدليل الذي استند إليه صاحب القول الذي أخذت به لم تكن مقلدًا.

حكم إيمان المقلِّد:

اختلف العلماء في صحة إيمان المقلِّد، على أقوال:

القول الأول: عدم الاكتفاء بالتقليد، بمعنى: عدم صحَّة تقليد المقلِّد، ولا يعتبر هذا الإيمان مُنْجِيًا لصاحبه في الآخرة، وجرى على هذا السنوسي في كتابه «شرح الكبرى»، والتحقيق أنه رجع عن هذا القول.

القول الثاني: الاكتفاء بالتقليد مع كون المقلد عاصيًا مطلقًا؛ أي: سواء أكان في المقلِّد أهلية النظر الفعلى أم لا.

القول الثالث: أنه مؤمن عاصٍ إن كان عنده أهلية النظر والاستدلال؛ لأنه ترك ما يقدر عليه، وإن لم تكن فيه أهلية النظر والاستدلال فهو مؤمن غير عاصٍ؛

لأنه ترك شيئًا هو عاجز عن تحصيله، ولا يكلِّف الله نفسًا إلا وسعها، وهذا هو القول الراجح.

والصحيح من هذه الأقوال هو القول الثالث المبنيُّ على وجوب المعرفة بالدليل عند الاستطاعة، أخذًا من قوله سبحانه: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَاۚ﴾[1]، ولأن النبي ﷺ قَبِل من الناس الإيمانَ دون أن يُطالبهم بالدليل، وعندما سئل عن الإيمان في حديث جبريل المشهور قال: «أن تؤمن بالله وملائكته ... إلخ»[2]. دون أن يتعرَّض للدليل، ومن لم تكن عنده المقدرة على النظر والاستدلال تسقط عنه المطالبة بهما كما تسقط المطالبة بالحج عن غير المستطيع.

حكم إيمان العوام:

وعلى ذلك فإيمان العوام صحيح قال أبو منصور الماتريدي: أجمع أصحابنا على أن العوام مؤمنون عارفون بربهم وأنهم حشو الجنة كما جاءت به الأخبار وانعقد به الإجماع، وغاية الأمر أنهم عاجزون عن التعبير عنه وعن تفصيله وهو لا يضر، لأن النبي ﷺ قَبِلَ إيمان الناس دون مطالبتهم بالدليل؛ لأن فِطرَتَهم جُبِلت على توحيد الله ـ سبحانه ـ واعتقاد قِدَمِه، وحدوث ما سواه، وهذه هي الفطرة التي ذكرها الله تعالى في قوله: ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَاۚ﴾[3]، وأشار إليها ﷺ بقوله: «كل مولود يولد على الفطرة»[4]، وقد أجمع المتكلمون ـ كما حكاه الآمدي[5] ـ على صحة إيمان المقلِّد.

(١) سورة البقرة . الآية: ٢٨٦.
(٢) متفق عليه.
(٣) سورة الروم . الآية: ٣٠.
(٤) متفق عليه.
(٥) هو سيف الدين الآمدي من أعلام مذهب الأشاعرة، ت ٦٣١هـ.

٥- أول ما يجب على المُكَلَّف

قَالَ النَّاظِمُ رَحِمَهُ اللهُ:

واجـزِمْ بـأنَّ أولًا ممـا يَجِـبْ ** معرفـةٌ وفيه خُلـفٌ مُنْتَصِبْ

لما فرغ رَحِمَهُ اللهُ من الكلام عن المقلِّد، وهل يكفي التقليد في عقائد التوحيد، شرع في بيان أول واجب على المكلف ذاكرًا خلاف العلماء في ذلك على النحو الآتي:

آراء العلماء في أوّل واجب على المُكَلَّف:

للعلماء في أوّل الواجبات على المكلَّف خلاف طويل، وسنحاول أن نجمله في عبارة واضحة فنقول:

١- ذهب إمام أهل السنة «أبو الحسن الأشعري» إلى أن أول شيء يجب على المكلف هو «معرفة الله تعالى»، وهذا ما جَرَى عليه المصنِّف.

٢- ذهب الأستاذ «أبو إسحاق الإسفراييني»[١] إلى أن أول شيء يجب على المكلف هو «النظر الموصل إلى معرفة الله تعالى» وينسب هذا القول إلى الأشعري أيضًا.

٣- ذهب القاضي «أبو بكر الباقلاني»[٢] إلى أن أول شيء يجب على المكلف هو أول النظر أي: «المقدمة الأولى من الدليل الموصل لمعرفة الله تعالى»، وبيان ذلك أن قولنا: (العالَم حادث، وكل حادث لا بد له من محدث)، دليل على

(١) هو إبراهيم بن محمد بن إبراهيم أبو إسحاق الإسفراييني من أئمة الفقه والأصول توفي سنة ٤١٨ هـ. انظر: وفيات الأعيان ١/ ٤.

(٢) هو: محمد بن الطيب بن محمد أبو جعفر، من كبار علماء أهل السنة ولد سنة ٣٣٨ هـ وتوفي سنة ٤٠٣ هـ. انظر: وفيات الأعيان ١/ ٤٨١.

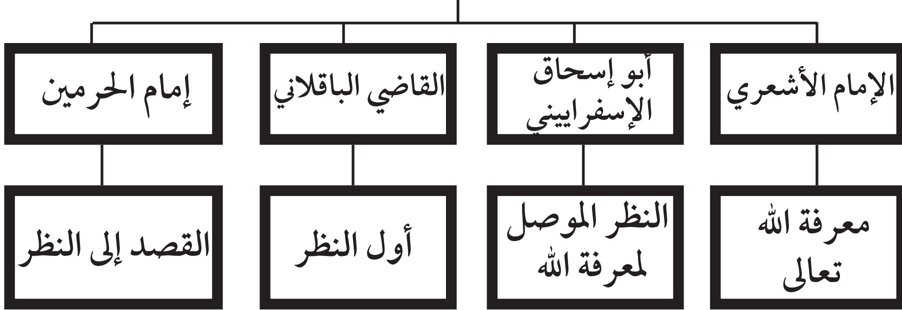
وجود الله تعالى، وصورة الدليل كاملة هي النظر، وقولنا: «العالم حادث» وحده هو المقدمة الأولى من مُقَدِّمتَي هذا النظر، وهذه المقدمة الأولى هي أول شيء يجب على المكلف معرفته.

٤ـ وذهب إمام الحرمين إلى أن أوَّل شيء يجب على المكلَّف هو القصد إلى النظر، والمراد تفريغ القلب عن الشواغل التي تشغله، أو تصرفه عن النظر والاستدلال، وينسب هذا القول إلى القاضي الباقِلَانيِّ أيضًا.

وهناك أقوال أخرى أعرضنا عن ذكرها؛ لأن ما ذكرناه يُغني عنها.

تنبيه: الخلاف في هذه الأقوال لفظي؛ لأن من قال: إن أول واجب هو المعرفة إنما قصد أن أول الواجبات من المقاصد الاعتقادية هو المعرفة، ومن قال: إن أول الواجبات هو النظر أو القصد إليه إنما عنى أن ما ذكر أول الواجبات من حيث إنه يتوقف عليه الواجب الأول من المقاصد الاعتقادية.

والأصح من هذه الآراء هو أن أول واجب على المكلف من حيث المقصد «المعرفة»، وأول واجب من حيث الوسيلة القريبة «النظر»، وأول واجب من حيث الوسيلة البعيدة «القصد إلى النظر».


الآراء في أول واجب على المكلف
الإمام الأشعري
أبو إسحاق الإسفراييني
القاضي الباقلاني
إمام الحرمين
معرفة الله تعالى
النظر الموصل لمعرفة الله
أول النظر
القصد إلى النظر

٦ـ النظر ومسالكه

فانظـرْ إلى نَفْسِـك ثـم انتقِلِ ** للعـالَمِ العُلْـويِّ ثـم السُّـفلي
تجِدْ بـه صُنعًـا بديـعَ الحِكَمِ ** لكـنْ بـه قـام دليـلُ العَـدَمِ
وكلُّ مـا جـاز عليـه العَـدَمُ ** عليـه قطعًـا يسـتحيل القِدَمُ

لما بيَّن أن أول شيء يجب على المكلف هو المعرفة بيَّن طريق الوصول إليها فقال فانظر..... أي: إذا أردت المعرفة فانظر....؛ لأن النظر وسيلة إليها.

النظر لغة: الإبصار، أي: إدراك الشيء بحاسَّة البصر والفكر.

وعرفًا: ترتيب أمرين معلومين؛ ليتوصل بترتيبهما إلى علم مجهول كترتيب الصغرى مع الكبرى في قولنا: العالم متغيِّر، وكل متغيِّر حادث، فإنه موصِّل للعلم وهو حدوث العالم المجهول قبل ذلك الترتيب.

مسالك النظر:

بدأ المصنف بذكر وجوب التفكر في أحوال ذات الإنسان، فقال: فانظر إلى نفسك؛ وذلك لأمور:

أولها: أنها أقرب الأشياء إليه؛ قال تعالى: ﴿وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ﴾[1].

ثانيها: أنَّ من عرَفَ نفسه فقد عرف ربه أي: من تفكَّر في بدائعها توصل إلى معرفة صانعها، وقيل: من عرف نفسه بالحدوث والفقر، عرف ربه بالقدم والغنى، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ﴾[2].

وقد أمرنا الله ـ تعالى ـ بالنظر في أنفسنا والتأمل في أحوالها، فالمتأمل في أحوال

(١) سورة الذاريات. الآية: ٢١.
(٢) سورة فاطر. الآية: ١٥.

نفسه، وما اشتملت عليه من سمع، وبصر، وكلام، وطول، وعرض، وعمق، ورضا، وغضب، وعلم، وجهل، وإيمان، وكفر، ولذة، وألم، وغير ذلك مما لا يُحصى، يرى أنها متغيِّرة من عدم إلى وجود وبالعكس، مما يدل على حدوثها، وأن لها محدثًا وخالقًا حكيمًا مدبِّرًا تام القدرة والإرادة؛ فنستدل بها على وجوب وجود صانعك وصفاته وهو الله سبحانه؛ قال تعالى: ﴿وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ﴾[1].

التفكر في أحوال العالَمَيْنِ العلوي والسفلي:

ثم بعد النظر في أحوال النفس انتقل للنظر في أحوال العالم المنسوب إلى جهة العلو، والمراد به: (ما ارتفع من الفلكيات من سماوات، وكواكب، وعرش، وغيرها)، فإذا نظرت فيها فإنك ستجد آيات باهرات تدلُّ على وجود خالقٍ قادرٍ مدبِّرٍ مريدٍ، قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ لَأٓيَٰتٖ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ﴾[2].

ثم بعد النظر في العالم العلوي انتقل للنظر في العالم المنسوب للجهة السُّفلى، كالهواء، والسَّحاب، والأرض وما فيها من المعادن والبحار والنبات، وغير ذلك، تجد أن كلًّا منها مشمول بجهات مخصوصة وأمكنة معينة، ونجد بعضه متحركًا وبعضه ساكنًا، وبعضه نورانيًّا وبعضه ظُلمانيًّا، مِمَّا يدل على وجوب وجود الصانع الخالق وصفاته.

قال تعالى: ﴿وَفِي ٱلۡأَرۡضِ قِطَعٞ مُّتَجَٰوِرَٰتٞ وَجَنَّٰتٞ مِّنۡ أَعۡنَٰبٖ وَزَرۡعٞ وَنَخِيلٞ صِنۡوَانٞ وَغَيۡرُ صِنۡوَانٖ يُسۡقَىٰ بِمَآءٖ وَٰحِدٖ وَنُفَضِّلُ بَعۡضَهَا عَلَىٰ بَعۡضٖ فِي ٱلۡأُكُلِۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ﴾[3].

(١) سورة الذريات . الآية ٢١
(٢) سورة الجاثية . الآية: ٣.
(٣) سورة الرعد . الآية: ٤.

* حدوث العالم:

بعد نظرك في نفسك والعالم العلوي والسفلي تيقنت أن الكل متغير، يجوز عليه العدم أي : الفناء ، وكل ما جاز عليه العدم يستحيل عليه القدم ،وما وَجَدْتَ في نفسك من تغيُّر وفي العالم كذلك يسمى دليل الحدوث، وهو دليل الحاجة إلى صانعٍ خالق حكيم متَّصفٍ بصفات الكمال، وحاصله أن تقول: «العالَم حادث، وكل حادث لا بد له من صانع حكيم متَّصف بصفات الكمال وهو الله تعالى».

قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِي تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾(1).

(1) سورة البقرة . الآية: ١٦٤ .

المناقشة والتدريبات

س١ : ما المقصود بالتقليد؟ وضح ذلك مع التمثيل.

س٢: اختلف العلماء في صحة إيمان المقلد على أقول، اذكرها إجمالًا مبينًا القول الراجح.

س٣: ما حكم إيمان العوام؟ مع التعليل.

س٤ : ما آراء العلماء في أول واجب على المكلف؟ وما الأصح من هذه الآراء؟

س٥: ما النظر لغة واصطلاحًا؟ مع التمثيل.

س٦: لم بدأ المصنف بذكر وجوب التفكر في أحوال ذات الإنسان؟ وما أثر تفكر الإنسان في أحوال نفسه؟

س٧: تخير الإجابة الصحيحة مما بين القوسين فيما يأتي:

أ – القصد إلى النظر هو أول واجب على المكلف عند

(الإمام الباقلاني – إمام الحرمين – الإسفراييني).

ب– ذهب الإمام الأشعري إلى أن أول الواجبات على المكلف هو

(النظر – معرفة الله تعالى – المقدمة الأولى من الدليل الموصل لمعرفة الله تعالى).

جـ – ما يجده الإنسان في نفسه من تغير يسمى دليل

(الحدوث – التمانع – الإتقان).

د – إيمان العوام (صحيح – لا يصح – يحتاج إلى نية).

س٨: ضع علامة (√) أمام العبارة الصحيحة، وعلامة (×) أمام العبارة الخطأ مع تصويب الخطأ فيما يأتي:

أ- ذهب الأستاذ الإسفراييني إلى أن أول واجب على المكلف معرفة الله تعالى. (   )

ب- الخلاف بين الآراء في أول الواجبات خلاف لفظي. (   )

جـ- من عرف نفسه بالحدوث والفقر عرف ربه بالقدم والغنى. (   )

٧ـ الإيمان والإسلام

قَالَ النَّاظِمُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

وفُسِّرَ الإيمانُ بالتَّصدِيقِ *** والنُّطقُ فيهِ الخُلفُ بالتَّحقيقِ
فَقِيلَ: شَرطٌ كالعَمَلْ، وقِيلَ: بلْ *** شَطرٌ، والإسْلامَ اشْرَحَنَّ بالعَمَلْ
مِثَالُ هذا الحجُّ والصَّلاةُ *** كذا الصيامُ فادرِ والزكاةُ

تعريف الإيمان:

الإيمان لغة: التصديق، ومنه قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُؤۡمِنٖ لَّنَا﴾(١)، أي: مصدِّق.

وشرعًا: هو تصديق النبي ﷺ في كل ما جاء به وعُلِمَ من الدين بالضرورة إجمالًا في الإجمالي، وتفصيلًا في التفصيلي.

شرح التعريف:

المراد بتصديق النبي: الإذعان لما جاء به والقَبول له، وليس المراد وقوع نسبة الصدق إليه في القلب من غير إذعان وقبول له حتى يلزم الحكم بإيمان كثير من الكفار الذين كانوا يعرفون حقيقة نبوته ورسالته ﷺ، ومصداق ذلك قوله تعالى: ﴿يَعۡرِفُونَهُۥ كَمَا يَعۡرِفُونَ أَبۡنَآءَهُمۡ﴾(٢).

قال عبدالله بن سلام رضي الله عنه: لقد عرفته حين رأيته كما أعرف ابني ومعرفتي لمحمد أشد(٣).

(١) سورة يوسف . الآية: ١٧.
(٢) سورة البقرة . الآية: ١٤٦.
(٣) أخرجه الثعلبي من طريق السدي الصغير عن الكلبي في "الكشف والبيان" (٤/ ١٩٢، ١٢/ ٥٣) (ط.دار التفسير).

والمراد بها عُلم من الدين بالضرورة: أي: عُلِم من أدلَّة الدين، واشتَهَر بين الناس، فأصبح لشهرته كالضروري الذي لا يُحتاج في معرفته إلى نظر واستدلال، بحيث يعلمه الجميع العام والخاص على سبيل الجزم من غير قبول للتشكيك، كوجوب الصلاة، وتحريم الخمر.

- ويكفي الإجمال فيما يعتبر التكليف به إجمالًا، كالإيمان بالأنبياء والملائكة والكتب.

ولا بد من التفصيل فيما يعتبر التكليف به تفصيلًا، كالإيمان بمن ذُكِرُوا بأسمائهم من الأنبياء والملائكة.

والتفصيلي أكمل من الإجمالي من حيث التفصيل ، وإلا فهو مثله من حيث الخروج من عهدة التكليف بكل منهما .

حكم النطق بالشهادتين:

اختلف العلماء في حكم النطق بالشهادتين هل هو شرط لإجراء الأحكام الدنيوية؟ أو جزء من الإيمان؟ وقبل ذكر هذه الأقوال نحدِّد محلَّ النزاع.

أولًا: لا يطالب بالنطق بالشهادتين غير المتمكِّن من ذلك، كالأخرس، ومن فاجأه الموت قبل النطق من غير تراخٍ، ولا خلاف في إيمانهما.

ثانيًا: أولاد المسلمين مؤمنون قطعًا، وتجري عليهم الأحكام الدنيوية.

ثالثًا: يطالب بالنطق بالشهادتين المتمكِّن من ذلك والقادر عليه، بأن يقول: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا رسول الله.

ومحلّ الخلاف فيمن أراد الدخول في الإسلام ولم يكن مسلمًا، فهل النطق

في حقِّه شرط أو جزء؟ اختلف العلماء على النحو الآتي:

١ـ ذهب جمهور العلماء إلى: أنَّ النطق بالشهادتين خارج عن حقيقة الإيمان، فهو شرط لإجراء أحكام المؤمنين عليه من التوارث، والتناكح، والصلاة خلفه، والدفن في مقابر المسلمين ومطالبته بالصلوات ، وغير ذلك؛ لأن التصديق القلبي وإن كان إيمانًا إلا أنه باطن خفيٌّ، فلا بدَّ له من علامة ظاهرة تدلُّ عليه.

وبناء على ذلك: فمن صدَّق بقلبه ولم يقر بلسانه لا لعذرٍ مَنَعَه ولا لرفضٍ منه، بل اتفق له ذلك، فهو مؤمن عند الله تعالى غير مؤمن في الأحكام الدنيوية. أماَ المعذور إذا قامت قرينة على إسلامه بغير النطق كالإشارة فهو مؤمن في الدنيا والآخرة.

ومن أقر بلسانه ولم يصدّق بقلبه كالمنافق فهو مؤمن في الدنيا عند أهل السنة، غير مؤمن عند الله تعالى، ويُحكَم بكونه مؤمنًا في الأحكام الدنيوية ما لم يطّلع على كفره بعلامةٍ، كسجود لصنمٍ، وإلّا جَرَت عليه أحكام الكفر.

٢ـ ذهب بعض العلماء إلى: أنه شرطٌ في صحة الإيمان، فمن لم يقرّ بلسانه فإيمانه غير صحيح.

٣ـ ذهب الإمام «أبو حنيفة» وبعض الأشاعرة إلى: أن الإقرار بالشهادتين ليس شرطًا بل هو جزء من الإيمان، فيكون الإيمان تصديقًا وإقرارًا، فمن صدَّق بقلبه ولم يتَّفق له في عمره، لا مرَّة ولا أكثر من مرة مع القدرة على ذلك، لا يكون مؤمنًا لا عند الناس، ولا عند الله تعالى، وكلٌّ من القولين الأخيرين ضعيفٌ.

والراجح هو القول الأول لورود الأدلة على ذلك، قال تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلۡإِيمَٰنَ﴾[1]. أي: أثبته في قلوبهم، وقوله ﷺ في دعائه: «اللهم يا مثبِّتَ القلوب ثَبِّت قلبي على دينك»[2].

---

(١) سورة المجادلة . الآية: ٢٢.
(٢) أخرجه ابن ماجه والترمذي.

وذلك معنى قول الناظم:

.... ** والنُّطـقُ فيـه الخُلـفُ بالتَّحقيقِ

فقيـلَ شَرطٌ كالعَمَـلْ، وقيلَ: بَلْ ** ....

علاقة الإيمان بالعمل:

ذهب «أهل السُّنَّة» إلى أن العمل شرط كمال في الإيمان، فمن أتى بالعمل فقد حصَّل الكمال، ومن تركه فهو مؤمن، لكنه فوَّت على نفسه الكمال إذا لم يكن مع ذلك استحلال، أو عناد للشارع، أو شكٌّ في مشروعيته، وإلا فهو كافر فيما عُلم من الدين بالضرورة.

وذهبت «المعتزلة» إلى أن العمل ركن من الإيمان؛ لأنهم يقولون: إن الإيمان عمل ونطق واعتقاد، فمن ترك العمل فليس بمؤمن؛ لفقد جزء من الإيمان وهو العمل، ولا كافر؛ لوجود التصديق، فهو عندهم في «منزلة بين المنزلتين»، ويسمى فاسقًا وهي منزلة بين الإيمان والكفر، ويُخَلَّد في النار، ويُعَذَّب بأقلَّ من عذاب الكافر.

وأغلب «الخوارج»: يرون كما يرى المعتزلة أن الإيمان مكوَّن من الأجزاء الثلاثة: «التصديق، والإقرار، والعمل»، ولكن الخوارج يجعلونها في مرتبة واحدة، فمن ترك العمل حكموا عليه بالكفر، كفر اعتقاد أو كفر نعمة، والخلود في النار.

الرأي المختار:

المختار من هذه الآراء هو: أن العمل شرط كمال؛ لأن الإيمان في اللغة التصديق، فيستعمل شرعًا في تصديق خاصٍّ، ولا دليل على نقله للمعاني الثلاثة كما زعم المعتزلة والخوارج.

أدلة أهل السنة:

١ـ دلَّت النصوص على ثبوت الإيمان قبل الأوامر والنواهي، كقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴾[١]، وقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ ﴾[٢]، فخاطبهم بوصف الإيمان قبل تكليفهم بالأمر والنهي.

٢ـ عطف العمل على الإيمان، والعطف يقتضي المغايرة، كقوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾[٣].

٣ـ الإيمان والمعاصي قد يجتمعان، كقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ ﴾[٤]، وقوله سبحانه: ﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱقۡتَتَلُواْ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَاۖ ﴾[٥].

وقد ثار النزاع قديمًا وحديثًا حول الإيمان وعلاقته بالعمل، فهل إذا وُجِد الإيمان لا بد أن يستتبع العمل بشرائع الإسلام، وأنَّ تَرْكَ العمل بما شرع الله يؤدي إلى فقد الإيمان والدخول في الكفر؟ أو أن الإيمان شيء والعمل شيء آخر؟

الإيمان- كما علمت -: هو التصديق القلبي بكل ما جاء به النبي ﷺ وعلم من الدين بالضرورة فمَن صدَّق بقلبه بكل ما جاء به النبي ﷺ فهو مؤمن.

(١) سورة الحج . الآية: ٧٧.
(٢) سورة الحجرات . الآية: ١١.
(٣) سورة البقرة . الآية: ٢٥.
(٤) سورة الحجرات . الآية: ٢.
(٥) سورة الحجرات . الآية: ٩.

وبهذا لا يصح الحكم على فرد أو أفراد أو مجتمع بالكفر إلَّا إذا جهر بالكفر أو أنكر معلومًا من الدين بالضرورة.

- وما دام الفرد أو الأفراد يؤمنون بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وما فيه من أمور البعث والحساب ... إلخ.

- وما داموا يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، ويُقِرُّون بفرضية الصلاة والزكاة والصيام والحج، ولا يحلون ما حرم الله ورسوله، ولا يحرمون ما أحله الله ورسوله ما داموا كذلك، فهم مؤمنون ناجون عند الله تعالى وهم مسلمون.

- وأما من أنكر شيئًا يجب الإيمان به أو الإقرار به فهو كافر.

وأما الطاعات من الصلاة والصيام والزكاة والحج وعمل الخيرات، فمن أداها فقد استكمل الإيمان ما دام قد صدَّق وأقرَّ، ومن فرط في شيء منها عاقبه الله بمقدار ما فرَّط.

- ومن ارتكب المنهيات مثل شرب الخمر والسرقة والزنى، فإنه ينال جزاء ما اقترف من الذنوب والخطايا في نار جهنم، ثم بعد ذلك يخرج من النار ويدخل الجنة بإيمانه، وقد قال ﷺ: «من قال: لا إله إلَّا الله دخل الجنة» فلما ألحَّ أبو ذر في السؤال ثلاث مرات فقال: وإن زنى وإن سرق؟ فقال ﷺ: «وإن زنى وإن سرق رغم أنف أبي ذر»[(١)].

- وبهذا يظهر لنا خطأ تكفير مجتمعنا المعاصر وتكفير أفراده إذ إن النصوص الدينية صريحة في أنه لا يصح الحكم بالكفر إلا على من صرح به أو أنكر معلومًا من الدين بالضرورة، وأن الذي يحكم بالكفر هو مؤسسة القضاء بعد التشاور مع أهل الاختصاص ولا يجوز لشخص أن يحكم بالكفر على شخصٍ معيَّنٍ.

(١) أخرجه البخاري (٥٨٢٧)، ومسلم (٩٤)، من حديث أبي ذر رضي الله عنه.

- وليس معنى نقدنا لدعوى التكفير هذه أننا نقر ترك الطاعات واقتراف الذنوب وارتكاب الخطايا، وإنما نحن نرى أن من ترك طاعة وهو غير جاحد بها فإنه سينال عقابه عند الله في الآخرة، ولا يصح أن نطلق عليه الكفر أو نصفه أو نحكم عليه بالكفر.

ونرجو لكل فرد من أفراد هذه الأمة أن يهديه الله سواء السبيل، وأن يبصره بأمور دينه.

تعريف الإسلام:

الإسلام لغة: مطلق الامتثال والانقياد.

وشرعًا: الامتثال والانقياد لما جاء به النبي ﷺ مما عُلِمَ من الدين بالضرورة من الأعمال الظاهرة.

وعلى هذا فالإيمان والإسلام متغايران مفهومًا أي: معنى، وماصدقًا أي: أفرادًا وإن تلازما شرعًا.

وذهب بعض العلماء: إلى أن الإيمان والإسلام معناهما واحد؛ لأن الإسلام معناه الإذعان الباطني، قال تعالى: ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ﴾[1].

والحقُّ: أن الإيمان والإسلام إذا افترقا اجتمعا وإذا اجتمعا افترقا، بمعنى أنه إذا اجتمع اللفظان في موضع واحد في القرآن والسنة افترق معناهما، فيختص الإسلام بالأعمال الظاهرة مثل الصلاة وغيرها، ويختص الإيمان بالتصديق القلبي الجازم أو الاعتقادات الباطنة، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾[2]، وكما في حديث الإسلام والإيمان أما إذا ذكر أحدهما منفردًا فإنه يدل على الآخر فيكون كل مسلم مؤمنًا وكل مؤمن مسلمًا،

(١) سورة الزمر . الآية: ٢٢.
(٢) سورة الأحزاب . الآية: ٣٥.

كما في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾[1]. فيشمل الإسلام: الإيمان.

وكما في قوله تعالى: ﴿ رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَٰنِ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا ﴾[2] فيشمل الإيمان: الإسلام.

أركان الإسلام:

أركان الإسلام خمسة، ترك المصَنِّف أحدها، وهو النطق بالشهادتين؛ لتقدُّم بيانه، والأربعة الباقية هي: «إقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، والحج».

وقد تخصَّص علم الفقه لأحكام هذه الأركان مع بقية أحكام المعاملات.

وقد أشار الناظم إلى ذلك بقوله:

مِثَــالُ هــذا الحـجُّ والصَّــلاةُ ** كــذا الصيــامُ فـأْدرِ والــزكاةُ

نشاط

ناقش معلمك حول العلاقة بين الإسلام والإيمان وآراء العلماء في ذلك.

- اكتب بحثًا حول حكم النطق بالشهادتين.

(١) سورة آل عمران . الآية: ١٩.
(٢) سورة آل عمران . الآية: ١٩٣.

زيادة الإيمان ونقصانه

قَالَ النَّاظِمُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَرُجِّحَتْ زِيَادَةُ الإِيمَانِ ** بِمَا تزيدُ طاعةُ الإنسانِ
ونَقْصُهُ بنقصِها وَقِيلَ: لا ** وَقِيلَ: لا خُلْفَ، كذَا قَدْ نُقِلا

اختلف العلماء في زيادة الإيمان ونقصانه إلى ثلاثة آراء:

الرأي الأول: ذهب جمهور العلماء إلى أن الإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية.

وقد استدلوا على ذلك بأدلة عقلية ونقلية.

الدليل العقلي:

أنه لو لم تتفاوت حقيقة الإيمان بالزيادة والنقص لكان إيمان آحاد الأمة بل المنهمكين في الفسق والمعاصي مساويًا لإيمان الأنبياء والملائكة، واللازم ـ وهو المساواة ـ باطل، فيكون الملزوم الذي هو عدم التفاوت بالزيادة والنقص باطلًا أيضًا.

الدليل النقلي:

وردت نصوص كثيرة تدل على زيادة الإيمان ونقصانه منها:

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا﴾[1].

وقوله تعالى: ﴿لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ﴾[2].

وقوله تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا﴾[3].

---

(١) سورة الأنفال . الآية: ٢.
(٢) سورة الفتح . الآية: ٤.
(٣) سورة التوبة . الآية: ١٢٤.

وقوله ﷺ لابن عمر رضي الله عنهما لما سأله: الإيمان يزيد وينقص؟ قال: «نعم يزيد حتى يدخل صاحبه الجنة وينقص حتى يدخل صاحبه النار»(١).

وقوله ﷺ: «لو وزن إيمان أبي بكر بإيمان هذه الأمة لرجح به»(٢).

هذه النصوص دلّت على زيادة الإيمان، وَكُلُّ ما يقبل الزيادة يقبل النقص.

الرأي الثاني:

ذهب بعض العلماء كالإمام «أبي حنيفة»: إلى أن الإيمان لا يزيد ولا ينقص؛ لأن الإيمان اسم للتصديق البالغ نهاية الجزم والإذعان، وهذا لا يُتَصوَّر فيه زيادة ولا نقصان؛ لأن تلك النهاية لا مراتب لها، ولأن نقصان التصديق يفقده معناه، والزيادة في الأعمال لا في التصديق نفسه، وتأوَّل هؤلاء الآياتِ الدالَّةَ على زيادة الإيمان بقولهم: إنما هي في حق المؤمن به؛ لأن الصحابة كانوا آمنوا بما أُنْزِلَ عليه ﷺ، وكانت الشريعة غير تامة، وكانت الأحكام تنزل شيئًا فشيئًا، فكانوا يؤمنون بكل ما يتجدَّد، وتأوَّلوا الأحاديث الواردة بأن الزيادة والنقص يرجع كلٌّ منهما إلى الأعمال لا التصديق.

الرأي الثالث:

١ـ ذهب إمام الحرمين الجويني، والفخر الرازي وغيرهما: إلى أنه ليس هناك خلاف حقيقيٌّ بين القائلين بالزيادة والنقصان، والقائلين بعدمهما، بل هو خلاف لفظيٌّ.

(١) أخرجه ابن ماجه.
(٢) أخرجه البيهقي في شُعب الإيمان.

ووجه كون الخلاف لفظيًّا: أن القول بأن الإيمان يزيد وينقص محمول على ما به كمال الإيمان وهو الأعمال، والقول بأنَّه لا يزيد ولا ينقص محمول على أصله وهو التصديق الباطنيُّ القلبيُّ.

والأصحّ: أن التصديق القلبيَّ يزيد وينقص بكثرة النظر ووضوح الأدلة وعدمها؛ ولهذا كان إيمان الصِّدِّيقِين أقوى من إيمان غيرهم بحيث لا تعتريه الشُّبَه.

وقد تضافرت الأدلة على تحقّق الزيادة والنقصان في نفس التصديق، ويبدو هذا التفاوت من **ثلاثة أوجه من ناحية الأدلة:**

١ـ فالتصديق الناشئ عن دليل واحد لا يكون في منزلة التصديق الناشئ عن أدلة متعددة.

٢ـ التصديق الناشئ عن أدلة إجمالية غير الناشئ عن أدلة تفصيلية أُزيلت فيها الشُّبَه والاعتراضات.

٣ـ التصديق الذي تنتج عنه ثمرة، ويترتب عليه العمل، أقوى وأثبت من التصديق النظري دون نتائج.

أقسام المصدقين:

إذا كان التصديق يقبل الزيادة والنقص عقلًا؛ فلا يلزم من ذلك أن يكون إيمان كل فرد قابلًا للزيادة والنقص في الواقع ونفس الأمر؛ لأنه قد قامت الأدلة على أن المصدقين ـ من هذه الناحية ـ ثلاثة أقسام:

١ـ قسم يزيد إيمانه ولا ينقص وهم «الأنبياء» عليهم السلام فهم يتدرَّجون في مدارج الرقي، وهم معصومون من الخطأ، والتدرج في الكمال لا يتوقف.

فالإيمان بعد المشاهدة أكمل منه قبلها، ويشير إلى هذا قول الله تعالى على لسان «إبراهيم» عليه السلام: ﴿وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾[1]، وكأنه عليه السلام يقول: لقد حصَّلتُ إيمان العارِف، وأريد أن أترقَّى حتى أُحَصِّل إيمان المشاهِد. فلم يكن قوله شكًّا ولا تردُّدًا، أما قوله عليه السلام في هذا الشأن: «نحن أحق بالشكِّ من إبراهيم»[2] فمعناه: أنه لو لَحِق الشكُّ إبراهيم لتطرَّق إلينا من بابِ أولى؛ لأن إبراهيم من العارفين المصدِّقين، والرسول يعبِّر بذلك عن حال الأمة لا عن حاله ﷺ، وإذا قلنا: إنه يُعَبِّر عن حاله فيكون ذلك تواضعًا منه ﷺ إظهارًا لمنزلة إبراهيم الخليل عليه السلام[3].

٢ـ قسم لا يزيد إيمانه ولا ينقص، وهم «الملائكة»، فإيمانهم ناشئ عن فطرتهم، وليس في قدرتهم النظر والتفكير وتحصيل الأدلة.

٣ـ قسم يزيد إيمانه وينقص، وهم بقية العباد من الإنس والجن القادرين على النظر والاستدلال، أو الاندفاع وراء الهوى والشيطان.

ومجمل ما سبق: أن الإيمان هو التصديق فقط، وأن العمل شرط كمال، وأن النطق بالشهادتين شرط في إجراء الأحكام الدنيوية، وأن الإيمان يزيد وينقص، وهذا هو الراجح عند أهل السنة.

---

(١) سورة البقرة . الآية: ٢٦٠.

(٢) أخرجه البخاري (٣٣٧٢، ٤٥٣٧)، ومسلم (١٥١)؛ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) وعليه فإن معناه: إنَّ الشَّكَّ في إحياء الله الموتى مستحيل في حق إبراهيم والأنبياء، فلو تطرّق الشك في إحياء الموتى لإبراهيم لكنت أحقَّ به منه، وقد علمتم أني لم أشك، فاعملوا أن إبراهيم عليه السلام أيضًا لم يشك في ذلك، ولا ينبغي للأنبياء ذلك.

المناقشة والتدريبات

س١ : ما الإيمان لغةً وشرعًا؟ وما علاقته بالعمل؟

س٢ : اختلف العلماء في حكم النطق بالشهادتين لمن يريد الدخول في الإسلام ولم يكن مسلمًا، اذكر الآراء في ذلك مبينًا الرأي الراجح مع الدليل.

س٣: العمل شرط كمال، دلّل على ذلك.

س٤ : ما الإسلام لغةً وشرعًا ؟ وما العلاقة بين الإسلام والإيمان؟ مع التوجيه.

س٥: اختلف العلماء في زيادة الإيمان ونقصه إلى ثلاثة آراء، اذكرها إجمالًا.

س٦: (الإيمان والإسلام إذا اجتمعا افترقا، وإذا افترقا اجتمعا) اشرح العبارة السابقة.

س٧: تخير الإجابة الصحيحة مما بين القوسين فيما يأتي:

أ - إيمان الملائكة (يزيد ولا ينقص -لا يزيد ولا ينقص - يزيد وينقص).

ب - من قال: إن الإيمان لا يزيد ولا ينقص، هو الإمام:(الأشعري - أبو حنيفة - الرازي).

جـ - ذهب الإمام أبو حنيفة وبعض الأشاعرة إلى أن الإقرار بالشهادتين (جزء من الإيمان - شرط في صحة الإيمان - خارج عن حقيقة الإيمان).

س٨: ضع علامة (√) أمام العبارة الصحيحة، وعلامة (×) أمام العبارة الخطأ مع تصويب الخطأ فيما يأتي:

أ – العمل ركن من الإيمان عند المعتزلة. (   )

ب – من ترك العمل كفر عن الخوارج. (   )

جـ – الإسلام لغةً التصديق. (   )

د – الإيمان والإسلام متغايران، وإن تلازما شرعًا. (   )

هـ – ذكر المصنف أركان الإسلام الخمسة. (   )

تدريب عام

س١ : قال الناظم رحمه الله:

إِذْ كُلُّ مَـنْ قَلَّـدَ في التوحيـدِ ** إيمانُـهُ لَمْ يَـخْلُ مِـنْ تَرْديـدِ

اشرح البيت السابق شرحًا موضِّحًا معنى التقليد، وحكم إيمان المقلد بالله تعالى.

س٢ : قال تعالى: ﴿ وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ﴾ تدعو الآية السابقة إلى التفكر في ذات الإنسان وأحواله، فلماذا؟ وهل يتفكر الإنسان في غير نفسه؟

س٣: يقال: الإيمان والإسلام إذا اجتمعا افترقا، وإذا افترقا اجتمعا. كيف يكون ذلك؟

س٤ : هل يُشترَط لصحة الإيمان أن ينطق المكلف بالشهادتين؟

س٥: قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَنتَ بِمُؤۡمِنٖ لَّنَا وَلَوۡ كُنَّا صَٰدِقِينَ ﴾. في ضوء الآية السابقة وضح مفهوم الإيمان لغةً وشرعًا وهل العمل جزء من حقيقة الإيمان؟ ولماذا؟ دلِّل على ما تقول.

س٦ : (إيمانك بالله قد يزيد وقد ينقص).

هل توافق على هذه المقولة؟ دعِّم إجابتك بذكر آراء أهل العلم في زيادة الإيمان ونقصانه.

س٧: ضع علامة (√) أمام العبارة الصحيحة وعلامة (×) أمام العبارة الخطأ فيما يلي:

(أ) علم التوحيد أحد فروع الشريعة. (   )

(ب) الأحكام التكليفية الوجوب والندب والتحريم والكراهة والإباحة (   )

(جـ) يستحب معرفة الله تعالى على كل مكلف. (   )

س٨: اكتب المصطلح العلمي للمفاهيم التالية:

(أ) إفراد المعبود بالعبادة مع اعتقاد وحدانيته.

(ب) البالغ العاقل الذي بلغته الدعوة سليم الحواس.

(ج) الامتثال والانقياد لما جاء به النبي ﷺ مما علم من الدين بالضرورة من الأعمال الظاهرة.

***

٨ ـ الصفات الإلهية

قَالَ النَّاظِمُ رحمه الله:

فواجـبٌ لـه الوجـودُ والقِـدَمْ ** كـذا بقـاءٌ لا يُشَـابُ بالعَـدَمْ

تنقسم مباحث هذا الفن إلى ثلاثة أقسام : إلهيات، ونبوات، وسمعيات.

وقدَّم المصنف الكلام في الإلهيات بوجه عام؛ لأنها متعلِّقة بالله سبحانه وتعالى، وما يتعلَّق به جلَّ شأنه مقدَّم على كل ما عداه.

وإنما بدأ من هذه المباحث بالواجب لشرفه، ثم أتبعه بالكلام على الوجود؛ لأن الوجود كالأصل لكل ما عداه، وما عداه كالفرع له، ألا ترى أن الحكم بوجوب الواجبات له سبحانه وتعالى لا يُتعقَّل إلا بعد الحكم بوجوب الوجود له؟

معنى كونه تعالى واجب الوجود : أنه لا يجوز عليه العدم، فلا يقبل العدم، لا أزلًا، ولا أبدًا.

ويجب لله تعالى إجمالًا كل كمال يليق بذاته، وكمالات الله لا نهاية لها، ويجب على المكلف أن يعرف من هذه الكمالات «سبع صفات» على التفصيل تسمى «صفات المعاني».

وأن يعرف «الصفة النفسية»، وهي الوجود.

وأن يعرف «الصفات السلبية» أو «التنزيهية»؛ وهي خمس: القدم، والبقاء، والمخالفة للحوادث، والقيام بالنفس، والوحدانية.

طرق إثبات الصفات:

إثبات كل صفة من هذه الصفات إما أن يكون طريقه العقل، وإما أن يكون طريقه النقل؛ أي: الشرع.

١- إذا كانت الصفات مما يتوقَّف عليه الخلق والإيجاد فلا بد من إثباتها عن طريق الدليل العقلي، ويأتي الدليل النقلي مؤيدًا، وهذه الصفات تسع صفات وهي: الوجود، والقدم، والبقاء، والمخالفة للحوادث، والقيام بالنفس، والحياة، والعلم، والإرادة، والقدرة.

٢- أما الصفات التي لا يتوقَّف عليها الإيجاد فيكون الدليل النقليُّ مثبِتًا، والدليل العقلي مؤكِّدًا، وهي صفات: السمع، والبصر، والكلام.

٣- أما الوحدانية فقد اختُلف في طريق ثبوتها: هل تثبت ابتداءً بالعقل أو بالنقل؟ والصحيح أن الاعتماد في ثبوتها على العقل، والقرآن الكريم خاطب العقل في إثبات الوحدانية، وإبطال الشرك.



أولًا: الصفة النفسية
وجود الله عز وجل

الوجود صفة يتصف بها الموجود، وهي عند الشيخ الأشعري مشترك لفظي، فعَدُّ الوجود عنده صفة من باب التسامح، وعند جمهور المتكلمين الوجود ليس صفة زائدة على الذات في الخارج، لكنها أمر اعتباري، فليس في عدِّه صفة تسامح، فقد عدُّوا السُّلوب صفات كالقِدم والبقاء، والوجود بمعنى الثبوت والتحقق والشيئية.

والموجود إما أن يكون وجوده لذاته، أي: ليس لعلَّة خارجية ـ أي: سبب ـ أثَّرت فيه، وهذا الموجود هو الله تعالى فقط، وإما أن يكون وجوده لغيره؛ أي: ليس ذاتيًّا، فله علَّة خارجيَّة أثَّرت فيه، وذلك المؤثِّر هو الله تعالى.

الدليل على وجود الله تعالى:

الدليل على وجود الله تعالى هو الأساس الذي يُبنى عليه إثبات الصفات الأخرى، فلا يمكن إثبات الواجبات، ونفي المستحيلات، والقول بإمكان الجائزات بدون إثبات أنه تعالى موجود واجب الوجود.

ومعنى أنه تعالى واجب الوجود: أنه تعالى لا يجوز عليه العدم، فلا يقبل العدم لا أزلًا ولا أبدًا، لا في الماضي، ولا في الحاضر، ولا في المستقبل.

وَكُلُّ حقيقة علمية لا بد أن تستند في نهاية الأمر إلى حقيقة ضرورية لا تحتاج إلى برهان، وإلا لَظَلَّ البرهان في سلسلة لا تنقضي، فلا يزول الجهل، ولا يحل محلَّه العلمُ.

وقد أجمع العلماء على أن وجود شيء من الممكنات دون أسباب تقتضي وجوده باطل بالبداهة، فكون الشيء جاريًا على نَسَق معين، ثم يتغير عن نسقه، ويتحول عنه بدون وجود أي مغيِّر، أو محوّل إطلاقًا من الأمور واضحة البطلان.

- وقد مرَّ بك أن جميع الأحكام المفروضة في العقل لا تخرج عن أحد أوصاف ثلاثة: الوجوب، الاستحالة، الإمكان.

وهذا الكون الذي نراه في جملته، إنما هو من نوع الممكن، أي: إن العقل يجزم بأنه لا يترتب أي محال على فرض انعدامه، ويرى أنَّ من الممكن أن توجد أسباب تعدمه من أصله دون أن يستلزم ذلك مُحالًا لا يقبله العقل، وكل ما هذا شأنه فلا بد له من مؤثِّر خارجي يُرَجِّح فيه أحد جانبي الإمكان على الجانب الآخر، فالعالم لا بد له من مؤثر خارجيٍّ عنه، وقوة عظمى أوجدته، وهي قوة الله سبحانه وتعالى.

إبطال القول بالصدفة والطبيعة:

وبناء على ما سبق يتبين لك بطلان القول بأن العالم وُجِدَ هكذا من دون حاجة إلى مُوجد، أو وُجد بطريق الصدفة المحضة، فبطلان ذلك واضح للعِيان لا يحتاج إلى إقامة برهان.

كما يتضح فساد رأي من يقول: إن العالَـم مستمر بحكم التوالد الذاتي الذي لا أوَّل له؛ لأنه يستلزم التسلسل، وقد علم العقلاء أن التسلسل محال.

ومعنى التسلسل: فرض أن المخلوقات كلها متوالدة عن بعضها إلى ما لا نهاية، بحيث يكون كل واحد منها متوقِّفًا على ما قبله إلى غير نهاية.

فالقول بالتوالد الذاتي باطل بالضرورة، إذ إن سلسلة المخلوقات الممكنة مهما طالت، فإن استمرار طولها لا يخرجها - على كل حال - عن كونها ممكنة، والممكنات لا بد لرجحان أحد طرفي الإمكان فيها من مرجِّح.

إبطال التسلسل:

كما أن التسلسل منقوضٌ بالحسِّ والمشاهدة؛ ذلك أننا نعلم بأن هناك مخلوقات قد انقرضت، فلو تسلسلت الموجودات إلى ما لا نهاية له بحيث تكون كل واحدة منها معلولة لما قبلها، وعِلَّة لما بعدها، لما انقرضت تلك الموجودات، وذلك باطل بالمشاهدة.

معنى الدَّور:

الدور: أن يتوقَّف الشيء في وجوده المطلق على شيء آخر، إلا أن هذا الشيء متوقِّف في ذلك الوجود وفي نفس الوقت على ذلك الشيء الأول، فمن المحال إذًا أن يوجد هذا الشيء أو ذاك.

ولنضرب مثالًا على ذلك: وجود محمد متوقف على وجود عليٍّ، ووجود عليٍّ متوقف على وجود محمد، فكلٌّ منهما متقدِّم لامتقدِّم، ومتأخِّر لامتأخِّر؛ وهذا تناقض، ويسمى هذا الدَّورُ دورًا بمرتبة واحدة.

وحاصل الكلام: نقول لمن أقرَّ بحدوث العالَم، وادَّعى أنه وجد بتأثير نفسه: ما أول نواة أو ذرة من ذرات العالَـم سبقت غيرها في الوجود؟ ومهما كان هذا الشيء فإنا نقول: فما هي العلة التي أوجدته وأنهضته من ظلمات اللاشيء، فوضعته في أول مدارج الوجود؟

فلما أجاب بقوله بالتفاعل الذاتي، الذي يعني: أنه هو العلة المؤثرة؛ أي: السبب في إيجاد ذاته؛ أي: إنه حينما كان في ظلمات العدم المطلق، كان متوقِّفًا

على أن يولد خارجًا، ثم وُجد هكذا وظهر في ساحة الوجود، فأصبح علة لإيجاد نفسه، ولا يخفى عليك أن هذا هو الدور في أوضح أشكاله.

- وإذا بطل جميع ما سبق، فقد ثبت وجود الله تعالى بالدليل اليقيني القائم على الاستقراء العلمي، فإنك تدرك أنه ما من مجموعة تركيبية معينة تتناسق في سبيل تحقيق غاية تطَّرد في تحقيقها، إلا من وراء هذه المجموعة مُدَبِّرٌ.

- فلو نظرت إلى هذا الكون العجيب وتراكيبه الدقيقة، ورأيت كل ذلك يندفع إلى تحقيق غاية معينة ضمن ظروف معينة وشروط دقيقة، علمت بالدليل القطعي أن من ورائها مدبرًا لها يدفعها في طريق غاياتها هذه.

- وهكذا فقد علمت أن مطلب الألوهية تضافرت عليه الفلسفات والنبوات، وأن الأدلة البرهانية ماثلة في الأنفس والآفاق، وأن بواعثه النفسية مركوزة في العقل، وفي الوجدان، غير أن الناس ليسوا على درجة سواء في سرعة التصديق والتسليم بهذه الأدلة، ولا في تيقظ انتباههم بكل هذه الوسائل.

* * *

ثانيًا: الصفات السلبية

الصفات السلبية: هي التي تفيد سلب ونفي كلِّ معنى لا يليق بالله تعالى، أي: إنها تنفي عنه صفات النقص، وهي غير منحصرة في صفات محددة، وذلك كنفي الولد والزوجة والـمُعِين، وإنما وجب علينا معرفة خمسة منها تفصيلًا؛ لأن هذه الصفات الخمس أصول للتنزيهات وهي: القِدَمُ، والبقاءُ، والمخالفةُ للحوادث، والقيامُ بالنفس، والوحدانيةُ.

صفة القِدَم:

١ـ معنى القدم:

القِدَمُ معناه: عدم بداية وجود الله سبحانه وتعالى، أو هو: عدم افتتاح الوجود. أو تسمى صفة الأولية؛ موافَقةً لقوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلۡأَوَّلُ﴾، وضدُّ القِدَم الحدوثُ، وهو الوجود المسبوق بالعدم.

٢ـ اعلم أن القِدَم على ثلاثة أنواع:

الأول: القِدَم الذاتي: وهو عدم افتتاح الوجود، وهو الثابت لله تعالى.

الثاني: القِدَم الزماني: وهو مستحيل في حقه تعالى، ويُفسَّر بأنه طول مدة وجود الشيء، فإن قلت: عُرْجُون قديم، ضلال قديم، بناء قديم، فالمعنى الذي تدل عليه العبارة: أنه قد طال عليه الزمان منذ وُجِدَ، وذلك لا ينافي أنه حادث؛ بمعنى: كون وجوده مسبوقًا بالعدم، ومن هذا قوله تعالى: ﴿وَٱلۡقَمَرَ قَدَّرۡنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلۡعُرۡجُونِ ٱلۡقَدِيمِ﴾[١]، وقوله تباركت أسماؤه: ﴿تَٱللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَٰلِكَ ٱلۡقَدِيمِ﴾[٢].

---

(١) سورة يس . الآية: ٣٩.
(٢) سورة يوسف . الآية: ٩٥.

الثالث: القِدَم الإضافي، وهو أيضًا محال على الله تعالى، ويُفَسَّر بأنه: سَبْق الشيء في الوجود لشيء آخر، وذلك كقِدَم الأبِ بالنسبة للابن.

الدليل العقلي على إثبات صِفة القِدَم للّه تعالى:

أنه لو لم يكن قديمًا لكان حادثًا؛ إذ لا واسطة بين القديم والحادث، ولو كان حادثًا لاحتاج إلى مُحدِث، ولو احتاج إلى مُـحدِث لاحتاج مُـحدِثه إلى مُـحدِث؛ لتشابههما في الحاجة، فيلزم الدَّور أو التسلسل، وكل منهما محال، فما أدَّى إليه - وهو احتياجه إلى مُـحدِثٍ - محالٌ، فما أدَّى إليه - وهو كونه حادثًا - محالٌ، فما أدَّى إليه - وهو عدم كونه قديمًا - محال، وإذا استحال كونه حادثًا، وجب أن يكون قديمًا، وهو المطلوب.

ويمكن أن يقال: إنه لو لم يكن قديمًا لكان حادثًا، ولو كان حادثًا لكان جائز الوجود، مع أنه قد ثبت أنه تعالى واجب الوجود، فبطل ما يخالف وجوب الوجود وهو (الحدوث)، وثبت أنه قديم.

ودليله النقلي:

قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ﴾[1]، فَوَصْفُ نفسِه ـ تعالى ـ بالأول دليل على صفة القِدَم، ووصف نفسه بالآخر دليل على صفة البقاء بعد فناء كل شيء من غير نهاية لوجوده.

الفرق بين القديم والأزلي:

أنَّ الأزليَّ: ما لا أول له، سواء كان وجوديًّا أو عَدَميًّا، أما القديم فله ثلاثة معانٍ:

---

(١) سورة الحديد . الآية: ٣.

المعنى الأول: هو ما لا أول له، فيكون مرادفًا للأزليِّ، فيُطلَق كلٌّ من اللفظين على الله؛ بمعنى: أنه لا أول له.

المعنى الثاني: هو الموجود الذي لا أول لوجوده، فيخرج به المعدوم فلا يسمى قديمًا، وإنما يسمى أزليًّا، فيُطلَق على الله وصفاته بهذا المعنى.

المعنى الثالث: القديم هو القائم بنفسه الذي لا أول له، فيكون إطلاقه قاصرًا على الله سبحانه وتعالى.

❊ ❊ ❊

صفة البقاء

البقاء معناه: عدم آخرية الوجود. فنعتقد أن الله باقٍ لا انتهاء لوجوده. وضد البقاء: الفناء، وتسمى صفة الآخرية أخذًا من قوله: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ﴾[1].

ودليل بقائه تعالى:

أولًا: الدليل العقلي:

١ـ أنه لو جاز عليه العدم لاستحال عليه القِدَمُ، كيف وقد ثبت قِدَمُه؟ واتفق العقلاء على أن ما ثبت قدمه استحال عدمه، وإذا استحال العدم ثبت البقاء، وتقدم هذا في كلام المصنف:

وكُلُّ ما جازَ عليه العَدَمُ ❊ عليه قَطْعًا يستحيلُ القِدَمُ

٢ـ ويمكن أن يقال: إنَّه ـ تعالى ـ لو لم يكن باقيًا، لكان فانيًا، ولو كان فانيًا، لما كان واجب الوجود، وقد ثبت أنه ـ تعالى ـ واجب الوجود، فبطل ما أدَّى إليه من كونه ـ تعالى ـ يفنى، وثبت أنه ـ تعالى ـ لا يفنى.

فإن اعتُرِض على قاعدة: «كل ما ثبت قِدمه، استحال عدمه» بأن عدم المخلوقات في الأزل كان قديمًا[2]، وقد انقطع بوجودها فيما لا يزال. فما ثبت قِدَمه، لم يستحِلْ عدمه؟

أُجيب: بأن هذه القاعدة خاصة بالقديم الوجودي، وليس بالقديم العدمي الممكن الوجود.

(١) سورة الحديد . الآية: ٣.
(٢) بناء على القول بترادف القديم والأزلي .

فإن قيل: أي فرق بين عدمنا وعدم المستحيل، كشريك الباري، فإن كلًّا منهما واجب في الأزل؟

قلنا: وجوب عدمنا مقيَّد بالأزل. فهو ممكن فيما لا يزال، وأما عدم المستحيل فواجب على الإطلاق.

فالأقسام أربعة:

١ـ الله تعالى لا أول له ولا آخر.

٢ـ عدمنا في الأزل لا أول له، وله آخر.

٣ـ المخلوقات لها أول وآخر.

٤ـ نعيم الجنة وعذاب النار له أول ولا آخر له؛ فكل منهما باقٍ، لكن شرعًا لا عقلًا؛ لأن العقل يجوِّز عدمَهما.

ثانيًا: الدليل النقلي:

ودليله النقلي: وصف الله ـ تعالى ـ بالقدم والبقاء في القرآن في قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾[1]، فالمراد بالأول: القديم، والمراد بالآخر الباقي، ومما ورد أيضًا في وصفه ـ تعالى ـ بالبقاء قوله تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ۝٢٦ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾[2] وجه ربك؛ أي: ذاته المقدسة.

* * *

(١) سورة الحديد. الآية: ٣.
(٢) سورة الرحمن. الآيتان: ٢٦،٢٧.

صفة المخالفة للحوادث

قَالَ النَّاظِمُ رَحِمَهُ اللهُ:

وأنـــه لمـــا يَنَـــالُ العَـــدَمُ ** مخالـفٌ؛ برهـانُ هـذا القِـدَمُ

المخالفة للحوادث معناها: عدم مماثلته جل جلاله لها في ذاته أو صفاته أو أفعاله؛ فهو سبحانه وتعالى ليس بجِرم، ولا عَرَض، ولا كُلِّيّ، ولا جزئيّ، كما مرَّ بيانه، ولذلك فهو مُنَزَّهٌ عما تستلزمه هذه الصفات أيضًا من مختلف الصفات والأحوال والعوارض الجزئية التي تعتري الإنسان وغيره من الكائنات الأخرى؛ كالنوم، والغفلة، والجوع، والعطش، والحاجة، والعوارض النفسية والجسمية، وما إلى ذلك.

وقد ثبت برهان هذه الصفة لله تعالى بكل من دليلي العقل والنقل.

أما دليل العقل: ١- لو لم يكن مخالفًا للحوادث لكان مماثلًا لها، ولو كان مماثلًا لها لكان حادثًا، كيف وقد ثبت قِدَمه تعالى؟!

٢- كل من وجب له القِدَم استحال عليه العدم، ولا شيء من الحوادث يستحيل عليه العدم فلا شيء منها بقديم فثبتت المخالفة.

وأما دليل النقل: فقوله تعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾[1]، وإدخال كاف التشبيه على لفظ المثل مبالغة في نفي الشبيه والمِثل لله تعالى، ومثله قوله جل جلاله: ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾[2]. والكفؤ والمماثل واحد.

(١) سورة الشورى. الآية: ١١.
(٢) سورة الإخلاص. الآية: ٤.

صفة القيام بالنفس

قَالَ النَّاظِمُ رحمه الله:

قيامُــه بالنَّفْـــس وَحْدَانيَّـــهْ ** مـنـزهًا[1] أوصـافُـه سَـنِـيَّـهْ

عن ضِدٍّ او شِبهٍ شريـكٍ مُطلَقَا ** ووالـدٍ كـذا الوَلَـدْ والأصْدِقَـا

والمراد بالنفس هنا: «الذات»، فإنها تُطلق على الذات كما هنا.

وتطلق على «الدم»، كما في قولهم: ما ليس له نفس سائلة لا ينجِّس الماء. وعلى «التكبر»، كما في قولهم: فلان ذو نفس، وعلى «العقوبة»، قيل: منه قوله تعالى: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ﴾[2]، أي: عقوبته.

حكم إطلاق النفس على ذات الله تعالى:

الحق أنه يجوز إطلاق النفس على ذات الله ـ تعالى ـ من غير مشاكلة، كما يدل له قوله تعالى: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾[3]، خلافًا لمن زعم أنها لا تطلق عليه ـ تعالى ـ إلا مشاكلة[4] كما في قوله تعالى: ﴿تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ﴾[5].

معنى قيامه ـ تعالى ـ بنفسه:

أنه تعالى غيرُ مُفتقر إلى مُوجد ـ أي: مُؤثِّر أو مخصص ـ يوجده، ولا إلى محلٍّ ـ أي ذات أو مكان ـ يقوم به، فقد كان تعالى قبل وجود أي شيء وقبل وجود الزمان والمكان.

(١) قوله: «مُنزَّهًا» حال من الضمير في قوله: «فواجب له».
(٢) سورة آل عمران . الآية: ٢٨.
(٣) سورة الأنعام . الآية: ٥٤.
(٤) المشاكلة لغة: المماثلة، واصطلاحًا: ذكر الشيء بلفظ غيره لوقوعه في صحبته تحقيقًا أو تقديرًا.
(٥) سورة المائدة . الآية: ١١٦.

الدليل على ثبوت هذه الصفة للّه تعالى:

أولًا: الدليل العقلي:

١ـ أنه تعالى لو احتاج إلى مُوجِد أو مُخصص لكان حادثًا، ودار الأمر أو تسلسل، وهما باطلان. وقد سبق وجوب وجودِه وقِدَمِه وبقائه ذاتًا وصفاتٍ.

٢ـ أنه لو احتاج إلى المحل لكان صفة، ولو كان صفة لما اتصف بصفات المعاني، وهي واجبة له ـ تعالى ـ؛ للأدلة الدالة على ذلك.

ويُعلم من ذلك:

١ـ أنه ـ تعالى ـ مستغنٍ عن المحلِّ والمخصِّص معًا.

٢ـ وأما صفاته ـ تعالى ـ فهي مستغنية عن المخصِّص وقائمة بذاته ـ تعالى ـ ولا يُعَبَّر فيها بالاحتياج إلى الذات لما فيه من الإيهام.

٣ـ وأما ذوات الحوادث: فهي محتاجة إلى مخصِّص، ومستغنية عن ذات تقوم بها[١].

٤ـ وأما صفات الحوادث: فهي محتاجة إلى مخصِّص وإلى ذات تقوم بها[٢].

ثانيًا: الدليل النقلي:

قال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ﴾[٣] وقال أيضًا: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ﴾[٤].

---

(١) احتياجها إلى المخصص؛ لأنها لما كانت حادثة لزم افتقارها إلى مخصص موجد لها ابتداء، وغناها عن المحل؛ لأنها ليست صفات، بل ذوات موصوفة بالصفات.

(٢) لأنها لما كانت صفات استحال أن تقوم بأنفسها بل لا يمكن أن تكون موجودة إلا في محل ولما كانت حادثة وجب احتياجها إلى مخصص.

(٣) سورة البقرة . الآية: ٢٥٥.

(٤) لقمان ٢٦.

صفة الوحدانية

مبحث الوحدانية أشرف مباحث هذا الفنِّ؛ ولذلك سُمِّي باسم مشتقّ منها، فقيل: «علم التوحيد»، ولعظم العناية به كثر تقريره والثناء على الله من خلاله في الآيات القرآنية، فقال تعالى: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ﴾[1]، ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾[2]، إلى غير ذلك من الآيات.

وحدانية الله تعالى تعني: عدم التعدد في ذاته وصفاته وأفعاله.

ونفي التعدد في الذات، يشمل: نفي الكثرة في ذاته، أي: نفي التركيب، فذاته ليست مركبة من أجزاء، كما يشمل: نفي تعدد الذات الواجبة الوجود لذاتها، فلا توجد ذات تشبه ذاته سبحانه، فلا ندَّ ولا نظير له تعالى في ذاته.

فوحدة الذات إذن تعني: نفي الكَمِّ المتصل والمنفصل.

وأما عدم التعدد في الصفات فيراد به:

١ـ نفي الكثرة في الصفة من نوع واحد؛ فلا يكون له تعالى مَثَلًا قدرتان أو إرادتان أو أكثر، بل له ـ تعالى ـ قدرة واحدة على كل شيء، وإرادة واحدة يفعل بها ما يريد.

٢ـ ونفي أن يكون لله تعالى نظير في صفة من صفاته.

وأما عدم التعدد في الأفعال فيقصد به نفي أن يكون لغير الله تعالى فعل وخلق لشيء يشبه فعله، فهو سبحانه الخالق وحده ولا خالق سواه ﴿لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾[3] فعدم التعدد في الأفعال يعني: وحدة الخالق، ولا يعني: نفي الكثرة في أفعاله تعالى، فأفعاله تعالى كثيرة من خلق ورزق.

(١) سورة البقرة . الآية: ١٦٣.
(٢) سورة الإخلاص . الآية: ١.
(٣) سورة الأنعام . الآية: ١٠٢.

الكُمومُ الخمسة:

والحاصل أن الوحدانية الشاملة لوحدانية الذات، ووحدانية الصفات، ووحدانية الأفعال تنفي كُمومًا خمسة:

تعريف الكَمِّ: هو ما يقبل الانقسام، وهو نوعان: كم متصل مثل الجسم، وكم منفصل مثل الأعداد، والكموم الخمسة هي:

١ـ الكَمُّ المنفصل في الذات: وهو تعددُّها بحيث يكون هناك إلهٌ ثانٍ فأكثر.

٢ـ الكَمُّ المتصل في الذات: وهو تركُّبها من أجزاء، أو أعضاء.

وهذان الكَمَّان منفيان بوحدة الذات.

٣ـ الكَمُّ المنفصل في الصفات: وهو أن يكون لغير الله ـ تعالى ـ صفة تشبه صفته ـ تعالى ـ كأن يكون لغيره ـ تعالى ـ قدرة يُوجِد بها ويُعدِم بها كقدرته ـ تعالى ـ.

٤ـ الكَمُّ المتصل في الصفات: وهو التعدد في صفاته ـ تعالى ـ من جنس واحد كقدرتين فأكثر.

وهذان الكمّان منفيان بوحدانية الصفات.

٥ـ الكَمُّ المنفصل في الأفعال: وهو أن يكون لغير الله ـ تعالى ـ فعل من الأفعال على وجه الإيجاد، والمخلوق إنما يُنسَب له الفعل على وجه الكسب والاختيار[1]، وهذا الكمّ منفيٌّ بوحدانية الأفعال.

فنفي الكم المتَّصل يكون في الذات، والصفات، أما نفي الكمِّ المنفصل فيكون في الذات، والصفات، والأفعال.

(١) وفي هذا رد على المعتزلة القائلين بأن العبد يخلق أفعال نفسه الاختيارية.

الأدلة على اتصافه ـ تعالى ـ بالوحدانية:

الدليل الأول: عدم التعدد في الذات: أنه لو تعدد الإله؛ كأن يكون هناك إلهان لما وجد شيء من العالم، لكن عدم وجود شيء من العالم باطل؛ لأنه موجود بالمشاهدة، فما أدَّى إليه وهو التعدُّد باطل، وإذا بطل التعدُّد ثبتت الوحدانية، وهو المطلوب.

برهان التوارد والتمانع :

وإنما لزم من التعدُّد - كأن يكون هناك إلهان - عدم وجود شيء من العالم؛ لأنهما إما أن يتفقا، وإما أن يختلفا.

أولًا: إن اتفقا:

١ـ فليس بجائز أن يوجداه معًا على الاستقلال لكلٍّ منهما؛ لئلا يلزم اجتماع مؤثِّرين على أثر واحد.

٢ـ وليس بجائز أن يُوجده أحدهما ثم يُوجده الآخر؛ لئلا يلزم تحصيلُ الحاصل، وتحصيل الحاصل محال.

٣ـ وليس بجائز أن يوجده أحدهما دون الآخر؛ للزوم عجز من لم ينفذ مراده والآخر مثله؛ لانعقاد المماثلة بينهما.

وهذا الدليل يسمى برهان التوارد ؛ لما فيه من تواردهما على شيء.

ثانيًا: وإن اختلفا: بأن أراد أحدهما وجود شيء وأراد الآخر عدمه، فالاحتمالات العقلية ثلاثة، كلها باطلة، وهي:

١ـ أن ينفذ مرادهما معًا: وهو محال لأنه اجتماع للنقيضين.

٢ـ ألا ينفذ مرادهما معًا: وهو محال لأنه رفع للنقيضين، ويلزم عجزهما، والعجز على الإله محال.

٣ـ أن ينفذ مراد أحدهما دون الآخر: فمن لم ينفذ مراده عاجز والثاني مثله لأن فرض الإلهين التساوي في كل صفات الألوهية.

– وهذا الدليل يسمَّى برهان التمانع، لتمانُعهما وتخالُفهما.

وقد ذكر المولى سبحانه وتعالى هذا الدليل في قوله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾[(١)]، أي: لو كان في السماوات والأرض جنس الآلهة غير الله لم توجَدا، لكن عدم وجودهما باطل؛ لمشاهدة وجودهما، فبطل ما أدَّى إليه، وهو وجود جنس الآلهة غير الله ـ تعالى ـ، وثبت أن الله ـ تعالى ـ واحد؛ وهو المطلوب، فليس المحال الجمع فقط، بل المحال جنس الآلهة غيرُ الله.

– و " إلا " في الآية اسم بمعنى غير، وليست أداةَ استثناء لفساد المعنى حينئذ؛ لأن المعنى على ذلك سيكون: لو كان فيهما آلهة ليس فيهم الله لفسدتا، فيقتضي بمفهومه أنه لو كان فيهما آلهة فيهم الله لم تفسدا وهو باطل.

– والمراد بالفساد: عدم الوجود.

والآية تبين أن وحدة النظام في الكون تستلزم أن يكون مُدبِّر الكون هو الله وحده، وأن تعدد الآلهة يستلزم فساد السموات والأرض، وهذا التلازم بين المقدَّم والتالي تلازم عقلي، ومن ثَمَّ فإن الآية الكريمة تكون حجة قطعية تفيد اليقين.

الدليل الثاني: عدم التركب في الذات: الله واحد في ذاته، فليست ذاته ـ تعالى ـ مركَّبة من أجزاء؛ لأنها لو كانت مركَّبة من أجزاء لكان الله ـ تعالى ـ محتاجًا إلى أجزائه لتتكوَّن منها ذاته، والاحتياج نقص، والنقص على الله ـ تعالى ـ مستحيل.

(١) سورة الأنبياء. الآية: ٢٢.

الدليل الثالث: وهو من الأدلة النقلية:

قال تعالى: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ﴾(١)، ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ ۖ هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ﴾(٢)،وقال أيضًا: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾(٣)، والآيات في هذا المعنى كثيرة.

ثبوت الوحدانية لله تعالى يترتب عليه نفي أمور وهي:

- نفي الضد.
- نفي الشبيه.
- نفي الشريك.
- نفي الوالد والولد.

١ـ تنزهه ـ تعالى ـ عن الضد:

والضدان هما: الأمران الوجوديان اللذان بينهما غاية الاختلاف لا يجتمعان، فلو فُرِض أن لله ـ تعالى ـ ضدًّا في ذاته أو صفاته لوجب ارتفاع ذاته أو صفاته ارتفاعًا مطلقًا إن ثبت الضدّ دائمًا، أو ارتفاعًا مقيَّدًا بحالة وجود الضد إن لم يثبت دائمًا؛ لأنه متى ثبت أحد الضدين ارتفع الآخر، والفرض أنه واجب الوجود، قديم، وكذا صفاته.

٢ـ تَنَزُّهه ـ تعالى ـ عن الشبيه:

والشبيه: هو المساوي في أغلب الوجوه.

والنظير: هو المساوي ولو في بعض الوجوه.

والمثيل: هو المساوي في جميع الوجوه.

---

(١) سورة البقرة . الآية: ١٦٣.
(٢) سورة الحشر . الآية: ٢٢.
(٣) سورة الإخلاص . الآية: ١.

لكن المراد بالشبيه هنا: مطلق المشابه، فيشمل كلًّا منهما، فليس له ـ تعالى ـ مشابِهٌ في ذاته، ولا في صفاته، ولا في أفعاله؛ لوجوب مخالفته ـ تعالى ـ للممكنات ذاتًا وصفاتٍ وأفعالًا.

عن ضدٍّ او شِبْهٍ شَريكٍ مُطلَقَا ** ووالدٍ، كذا الوَلَدْ والأَصدِقَا

٣ـ تَنَزُّهه ـ تعالى ـ عن الشريك:

ليس لله ـ تعالى ـ شريكٌ في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله، ودليل تنزُّهه تعالى عن الشريك هو دليل الوحدانية.

٤ـ تَنَزُّهه ـ تعالى ـ عن الوالد:

الله ـ تعالى ـ منزه عن والد، أبًا كان أو أمًّا؛ لصِدْقِ (الوالد) عليهما، فالله تعالى ليس منفصلًا عن غيره.

٥ـ تَنَزُّهه ـ تعالى ـ عن الولد:

الولد كالوالد في وجوب تنزه الله ـ تعالى ـ عنه، فليس لله ـ تعالى ـ ولد لا ابن، ولا بنت، وليس عيسى عليه السلام ولدًا لله، بل خلقه الله ـ تعالى ـ بلا أب، كما خلق آدم عليه السلام بلا أب، بل آدم عليه السلام أغرب، خلَقه من تراب بلا أبٍ، ولا أمٍّ، فليس غيره ـ تعالى ـ منفصلًا عنه.

٦ـ تَنَزُّهه ـ تعالى ـ عن الصَّديق والأعداء:

وهو ـ تعالى ـ منزَّهٌ عن الأصدقاء، فمحال أن يكون لله ـ تعالى ـ صديق على الوجه المعتاد من أن كلًّا يعاون الآخر وينفعه، فلا ينافي أن يكون لله ـ تعالى ـ صِدِّيق بمعنى: المخلص في عبادته ـ تعالى ـ، لكن لا يجوز أن يطلق لفظ صديق الله ـ تعالى ـ؛ لأنه لم يَرِدْ، كما أنه يوهم المعنى المحال.

وكما يستحيل على الله ـ تعالى ـ الأصدقاء يستحيل عليه الأعداء على الوجه المعتاد من أن كلًّا يؤذي الآخر ويضره، فلا ينافي أن يكون لله ـ تعالى ـ عدوٌّ بمعنى المخالف لأمره كما في قوله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَآءُ ٱللَّهِ إِلَى ٱلنَّارِ ﴾[1].

والأصل القاطع في ذلك المؤكِّد للدليل العقلي قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾[2]، وقوله: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾[3]، إلى آخر السورة التي تسمى سورة الإخلاص.

وسبب نزولها أن المشركين سألوا رسول الله ﷺ عن ربه فقالوا: صف لنا ربك أمن ذهب أم من فضة[4]؟، **وقد نفت السورة أنواع الكفر الثمانية**.

١ – فقوله: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾[5]: نَفَى الكثرةَ والعددَ.

٢ – وقوله: ﴿ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴾[6]، وهو الذي يُقصد في الحوائج: نَفَى القلةَ والنقصَ.

٣– وقوله: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴾[7]: نَفَى العلةَ والمعلوليةَ؛ أي: أن يكون تعالى علةً لغيره، وأن يكون معلولًا لغيره، بأن يكون غيره علة له.

٤– وقوله: ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾[8]: نَفَى الشبيهَ والنظيرَ.

(١) سورة فصلت . الآية: ١٩.
(٢) سورة الشورى . الآية: ١١.
(٣) سورة الإخلاص . الآية: ١.
(٤) أخرجه الترمذي.
(٥) سورة الإخلاص . الآية: ١.
(٦) سورة الإخلاص . الآية: ٢.
(٧) سورة الإخلاص . الآية: ٣.
(٨) سورة الإخلاص . الآية: ٤.

المناقشة والتدريبات

س١ : ما الذي يجب لله إجمالًا؟ وهل كمالات الله لها نهاية؟ وما الواجب على المكلف أن يعرف من هذه الكمالات؟

س٢ : (إثبات كل صفة من صفات الله تعالى يكون إما عن طريق العقل وإما عن طريق النقل) اشرح هذه العبارة.

س٣: علل لما يأتي:

أ- قدَّم المصنف الكلام في الإلهيات.

ب- بدأ المصنف من الإلهيات بالواجب.

جـ - بدأ المصنف في حديثه عن الصفات بصفة الوجود.

د - الدليل على وجود الله هو الأساس الذي يَنْبَنِي عليه إثبات الصفات الأخرى.

هـ - يجب معرفة خمسة من الصفات السلبية تفصيلًا.

و- يلزم من تعدد الآلهة عدم وجود شيء من العالم.

س٤ : ما المقصود بالمصطلحات التالية:

أ - الضدان.	ب - الشبيه.
جـ- النظير.	د- المثيل.

س٥ : املأ الفراغات التالية بكلمات مناسبة :

أ- الكم هو ما يقبل ....وهو نوعان كم............ وكم.............

ب- صفات الحوادث محتاجة إلى مخصص وإلى............تقوم بها.

ج- نعيم الجنة وعذاب النار له أول و..................شرعًا.

د- الصفات التي يتوقف عليها الخلق والإيجاد لا بد من إثباتها بالدليل.................

هـ - اختلف في صفة.............هل تثبت بالعقل أو بالنقل؟

س٦ : تخير الإجابة الصحيحة مما بين القوسين فيما يأتي:

أ- إثبات الصفات يكون (بالعقل - بالنقل - قد يكون بالنقل أو العقل).

ب- ذوات الحوادث (تحتاج إلى ذات - مستغنية عن مخصِّص - محتاجة إلى مخصِّص ومستغنية عن ذات).

جـ - المخلوقات (لا أول لها - لها أول ولها آخر - لا آخر لها)

د- القدم (ثلاثة - خمسة - سبعة) أنواع.

س٧: وضح الفرق بين التسلسل والدور، ومثل لكل منهما بمثال.

س٨: دلل على فساد رأي من يقول:

أ- إن الحكم مستمر بحكم التوالد الذاتي.

ب- من يعترض على قاعدة (كل ما ثبت قدمه استحال عدمه).

س٩: ما الدليل النقلي على ما يلي:

أ- صفة القدم. ب- صفة البقاء.

جـ- صفة الوحدانية. د- صفة المخالفة للحوادث.

هـ- صفة الوجود. و- صفة القيام بالنفس.

س١٠: ضع علامة (√) أمام العبارة الصحيحة، وعلامة (×) أمام العبارة الخطأ مع تصويب الخطأ فيما يأتي:

١- الله مستغنٍ عن المحل والمخصِّص. ( )

٢- الكمّان المتصل والمنفصل في الذات منفيان بوحدة الصفات. ( )

٣- الله تعالى منزَّه عن الأصدقاء والأعداء. ( )

٤- القدم الزماني جائز في حق الله تعالى. ( )

٥- صفة السمع من الصفات التي يتوقف عليها الإيجاد ودليلها عقلي.
( )

تدريب عام

س١ : لله عز وجل صفة نفسية واحدة فما هي؟ وما معناها؟ وما الدليل عليها؟

س٢ : كيف تستخدم التسلسل والدور لإثبات وجود الله تعالى؟

س٣: لله صفات سلبية كثيرة، فما معنى كون الصفة سلبية؟ وما عددها تفصيلًا؟

س٤ : علام تستدل بالآيات التالية:

(أ) ﴿ هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾.

(ب) ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾.

(ج) ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ ﴾.

(د) ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾.

(هـ) ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾.

س٥ : استدل بالعقل على أن الله مخالف للحوادث ذاتًا وصفاتٍ وأفعالًا.

س٦ : عَرِّف الصفات التالية، واذكر دليلًا على كل منها:

القدم ـ البقاء ـ المخالفة للحوادث ـ الوحدانية ـ القيام بالنفس.

س٧: ضع علامة (√) أمام العبارة الصحيحة وعلامة (×) أمام العبارة الخاطئة فيما يلي:

أ- الأزلي ما لا أول له سواء أكان وجوديًّا أم عدميًّا. ( )

ب- أحكام العقل الاستحباب والحرمة والكراهة. ( )

جـ- التسلسل يعني: أن المخلوقات كلها متوالدة عن بعضها إلى ما لا نهاية. ( )

د- وحدانية الله تعالى تعني عدم التعدد في ذاته فقط. ( )

س٨: تخير الإجابة الصحيحة بوضع علامة (√) أمامها:

أ- تثبت الصفات الواجبة لله تعالى بـ

١ـ العقل فقط. ٢ـ النقل فقط. ٣ـ النقل والعقل معًا.

ب- تكمن أنواع القدم في:

١ـ القِدَم الزماني. ٢ـ القِدَم المكاني.

٣ـ القِدَم الإضافي. ٤ ـ جميع ما سبق

جـ- من الصفات السلبية:

١ـ الوجود. ٢ـ القِدَم. ٣ـ السمع.

د- وحدانية الله تعالى تعني عدم التعدد في:

١ـ ذاته. ٢ـ صفاته.

٣ـ أفعاله. ٤ـ جميع ما سبق.

* * *

ثالثًا: صفات المعاني

قَالَ النَّاظِمُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَقُــــدْرَةٌ إرادةٌ وغَايَــــرتْ ** أمـرًا وعِلْـمًا والرِّضَـا كـما ثبـتْ

تعريف المعاني لغة واصطلاحًا:

والمعاني جمع معنى، وهو لغة: ما قابل الذات، فيشمل النفسيَّة والسلبيَّة، واصطلاحًا: كل صفة قائمة بموصوف موجبة له حكمًا، ككونه ـ تعالى ـ قادرًا فإنه لازم للقدرة.

وصفات المعاني هي: الصفات الكمالية الواجبة لله ـ تعالى ـ ، وكمالات الله ـ تعالى ـ لا نهاية لها، ويجب على المكلف أن يعرف منها سبع صفات، وهي: القدرة، والإرادة، والعلم، والحياة، والسمع، والبصر، والكلام.

وانحصار صفات المعاني في السبع هو بالنظر إلى ما قام الدليل عليه تفصيلًا مع قطع النظر عن صفات وقع فيها الخلاف ولم يقم الدليل على أنها صفات زائدة على هذه السبع، كالإدراك والتكوين.

صفة القدرة

القدرة لغة: القوَّة والاستطاعة، وضدها العجز.

واصطلاحًا: صفة أزلية قائمة بذاته ـ تعالى ـ يتأتَّى بها إيجاد كل ممكن وإعدامه على وَفق الإرادة والعلم.

وبالقدرة يـتأتى الإيجاد والإعدام للمخلوقات، وقُدمت القدرةُ في الذِّكر على غيرها من صفات المعاني لظهور أثرها الواضح في إيجاد المخلوقات.

تعلقات القدرة:

وقوله: (يتأتى بها إيجاد كل ممكن وإعدامه)، إشارة إلى تعلُّقها الصلوحيّ القديم.

وللقدرة سبعة تعلقات، واحد يُسمَّى التعلق الصُّلوحي القديم، وثلاثة يسمى كل منها تعلق القبضة، وثلاثة كل منها يسمى التعلق التنجيزي الحادث.

أ -أما الأول وهو: التعلق الصلوحي القديم فهو:

صلاحيتها في الأزل للإيجاد والإعدام فيما لا يزال[1].

ب - وأما تعلقات القبضة الثلاثة فهي:

١- أن تتعلَّق بِعَدَمِنا فيما لا يزال قبل وجودنا.

٢- وباستمرار الوجود بعد العدم.

٣- وباستمرار العدم بعد الوجود، بمعنى أن الممكن في قبضة القدرة، فإن شاء الله أبقاه على عدمه، أو على وجوده، وإن شاء أوجده، أو أعدمه.

جـ - وأما التعلقات التنجيزية الحادثة فهي:

١- تعلقها بإيجادنا بالفعل بعد العدم السابق.

٢- وتعلقها بإعدامنا بالفعل بعد الوجود.

٣- وتعلقها بإيجادنا حين البعث.

---

(١) فيما لا يزال: أي في زمن وجود الممكن، والأزل عبارة عن أزمنة متوهمة لا أول لها.

* ما لا تتعلق به القدرة:

والقدرة لا تتعلق بكل من الواجب والمستحيل؛ لأنها إن تعلقت بالواجب فلا يصح أن تعدمه؛ لأنه لا يقبل العدم، ولا يصح أن توجده؛ لأنه يلزم منه تحصيل الحاصل.

وإن تعلَّقت بالمستحيل فعلى العكس من ذلك؛ لأنها لو تعلقت به لإيجاده كان قلبًا للحقائق.

ولو تعلقت به لإعدامه كان تحصيلًا للحاصل.

والقدرة تُوجِد على وَفق تخصيص الإرادة، أي: إن ما خصَّصه الله ـ تعالى ـ بإرادته أبرزه بقدرته، فتعلُّق الإرادة؛ لكونه أزليًّا سابق على تعلُّق القدرة؛ لكونه تنجيزيًّا حادثًا، فالترتيب في فهم التعلُّقين لا بين الصفتين؛ وإلا كان المتأخر حادثًا.

دليل صفة القدرة:

دليلها العقلي: الله ـ تعالى ـ صانع قديم له مصنوع حادث، وكل من كان كذلك تجب له القدرة، فالله ـ تعالى ـ تجب له القدرة.

ويمكن أن يقال: لو لم يكن الله ـ تعالى ـ قادرًا لكان عاجزًا، ولو كان عاجزًا لما استطاع إيجاد هذا العالم بهذا النظام البديع، لكنه ـ تعالى ـ أوجد هذا العالم، فثبت أنه قادر.

ودليلها النقلي: قال تعالى: ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[1]، وقال أيضًا: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَيْءٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا﴾[2]، والآيات في هذا المعنى كثيرة.

---

(١) سورة المائدة . الآية: ١٢٠.
(٢) سورة فاطر . الآية: ٤٤.

صفة الإرادة

الإرادة لغة: مطلق القصد، ويرادفها المشيئة.

واصطلاحًا: صفة قديمة زائدة على الذات قائمة به تخصِّص الممكن ببعض ما يجوز عليه من الأمور المتقابلة.

والممكنات المتقابلات ستة منظومة في قول بعضهم:

المكنـــاتُ المتقابـــلاتُ *** وجودُنا والعدمُ الصفاتُ
أزمنـــةٌ أمكنـــةٌ جهـــاتُ *** كـذا المقاديرُ روى الثقاتُ

ومعنى كونها متقابلات: أنها متنافيات إذا ثبت أحدها انتفى ما قابله، **فالوجود** يقابل العدم وبالعكس، فهما قسم أول.

وبعض الصفات يقابل بعضًا، فكون الشيء أبيض مثلًا يقابل كونه أسود، وهذا قسم ثانٍ.

وبعض الأزمنة يقابل بعضًا، فكونه في زمن الطوفان مثلًا يقابل كونه في زمن سيدنا محمد ﷺ، وهذا قسم ثالث.

وبعض الأمكنة يقابل بعضًا، فكونه في مكان كذا كمصر يقابل كونه في مكان غيره كالشام، وهذا قسم رابع.

وبعض الجهات يقابل بعضًا، فكونه في جهة المشرق يقابل كونه في جهة المغرب، وهذا قسم خامس.

وبعض المقادير يقابل بعضًا، فكونه طويلًا يقابل كونه قصيرًا، وهذا قسم سادس، فالإرادة تخصص هذه المتقابلات بما هي عليه.

وفي قولنا: قديمة ردٌّ على الكرَّامية؛ حيث قالوا: إنها صفة حادثة قائمة بالذات.

وفي قولنا: زائدة على الذات ردٌّ على «ضِرار» من المعتزلة، حيث قال: إنها نفس الذات.

وفي قولنا: قائمة به ردٌّ على «الجُبَّائي» من المعتزلة حيث قال: إنها صفة قائمة لا بمحلٍّ[1].

وفيه ردٌّ أيضًا على «أبي الحسين النجَّار»؛ حيث قال: إنها صفة سلبية، وفسَّرها بعدم كونه ساهيًا أو مكرَهًا، والصفة السلبية لا قيام لها لكونها أمرًا عدميًّا.

وذهب «الكعبي ومعتزلة بغداد» إلى أن إرادته ـ تعالى ـ لفعل غيره: أمره به، ولفعله: علمه به.

وذهب بعضهم: إلى أنها الرضا.

ـ تعلقات الإرادة:

وفي قولنا: تُخَصِّص الممكن، إشارة للتعلُّق التنجيزي القديم، وهو تخصيص الله ـ تعالى ـ الشيء أزلًا بالصفات التي يعلم أنه يوجد عليها في الخارج.

ولها تعلق صلوحي قديم: وهو صلاحيتها في الأزل للتخصيص مع ثبوت التخصيص بالفعل أزلًا أيضًا.

(١) أي: إنه مريد بإرادة حادثة لا في محل.

ـ ما لا تتعلق به الإرادة:

وخرج بالممكن: الواجب، والمستحيل، فلا تتعلَّق بهما الإرادة كالقدرة، وشمل الممكن الخير والشر، خلافًا «للمعتزلة» القائلين: إن إرادة الله ـ تعالى ـ لا تتعلَّق بالشرور والقبائح.

هل يجوز أن ينسب إلى الله ـ تعالى ـ فعل الشر؟

اختلف العلماء في جواز نسبة فعل الشرور والقبائح إليه ـ تعالى ـ، والراجح جواز ذلك في مقام التعليم لا في غيره.

الفرق بين الإرادة وكل من الأمر والعلم والرضا

الفرق بين الأمر والإرادة:

الأمر: طلب الفعل.

الإرادة تخالف وتباين الأمر، فهي ليست عينَه ولا مستلزمة له، وبناء على ذلك:

١ـ فقد يريد الله أمرًا ويأمر به، كإيمان من علم الله منهم الإيمان، فإنه ـ تعالى ـ أراده منهم وأمرهم به.

٢ـ وقد لا يريد ولا يأمر، كالكفر من هؤلاء، فإنه ـ تعالى ـ لم يرده منهم، ولم يأمرهم به.

٣ـ وقد يريد ولا يأمر، كالكفر الواقع ممن علم الله ـ تعالى ـ عدم إيمانهم، وكالمعاصي، فإنه أراد ذلك، ولم يأمر به.

٤ –وقد يأمر ولا يريد، كإيمان الكافرين فإنه أمرهم به، ولم يرده منهم؛ لحكمة يعلمها سبحانه وتعالى لا يُسأل عما يفعل.

وغرض المصنف بذلك الرد على من زعم من المعتزلة أن إرادته تعالى لفعل غيره أمرُه به.

مغايرة الإرادة للعلم:

والإرادة أيضًا تخالف العلم، بمعنى: أنها ليست عين العلم، ولا مستلزمة له؛ لتعلُّق العلم بالواجب والمستحيل والجائز، ولا تتعلَّق الإرادة إلا بالجائز فقط.

الغرض من ذكر مخالفة الإرادة للعلم:

الغرض من ذلك الردُّ على مَن زعم من المعتزلة أن إرادته ـ تعالى ـ لفعله علمُه به، فرُدَّ بمغايرة الإرادة للأمر وللعلم على الكعبي ومعتزلة بغداد في قولهم:(إن إرادته تعالى لفعل غيره أمرُه به، وإرادته لفعله علمُه به).

مغايرة الإرادة للرضا:

وكذلك تُغايِر الإرادة الرضا، فرضاه ـ تعالى ـ غير إرادته، فرضاه ـ تعالى ـ هو: قَبول الشيء والإثابة عليه.

الغرض من ذكر مخالفة الإرادة للرضا:

الغرض منه الردُّ على من فسَّر الإرادة بالرضا، فإن الإرادة قد تتعلَّق بما لا يرضى به الله ـ تعالى ـ، كالكفر الواقع من الكفار فإنه ـ تعالى ـ أراده ولا يرضى به.

الأدلة على وجوب صفة الإرادة لله تعالى:

الدليل العقلي:

أ- الله صانع العالم بالاختيار، وكل من كان كذلك تجب له الإرادة؛ فالله ـ تعالى ـ تجب له الإرادة.

ب - وجود التنوع والاختلاف في الكون يدل على أن خالقه مريد مختار ككون هذا طويلًا، وهذا قصيرًا، وهذا صحيحـًا، وهذا مريضـًا، وهذا أبيضَ، وذاك أسود ...إلخ.

جـ - ويمكن أن نقول: لو لم يكن مختارًا لكان مُكْرَهًا، ولو كان مكرهًا للزم وجود من يُكرِهه، فيكون عاجزًا، كيف وقد ثبت أنه واجب الوجود؟ فانتفى كل ما عداه، وثبت أنه ـ تعالى ـ قادرٌ، لا يُعْجِزه شيء.

د - وأيضًا فقد اتفق كلٌّ على إطلاق القول: إنه ـ تعالى ـ مريد، وشاع ذلك في كلامه ـ تعالى ـ وكلام أنبيائه عليهم السلام

ولا يفهم من قولنا: مريدٌ، بحسب اللغة إلا ذاتٌ ثبتت لها الإرادة، إذ لا يُعقل مريد بلا إرادة، وإنْ نازعَ في ذلك المعتزلةُ.

الدليل النقلي على صفة الإرادة:

قال تعالى: ﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾[1]، ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ﴾[2]، ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[3].

(١) سورة هود . الآية: ١٠٧.
(٢) سورة القصص . الآية: ٦٨.
(٣) سورة آل عمران . الآية: ٢٦.

صفة العلم

وعلمه، ولا يقال: مُكْتَسَبْ ﭐ فاتْبَع سَبيلَ الحقِّ واطرَحِ الرِّيَبْ

العلم لغة: اليقين.

واصطلاحًا هو: صفة قديمة قائمة بذاته تعالى، تنكشف بها المعلومات انكشافًا تامًّا لم يسبقه خفاء، سواء أكانت هذه المعلومات واجبة أم مستحيلة أم ممكنة، فالله يعلم كل شيء على ما هو عليه في الواقع.

تعلقات العلم:

يتعلق العلم بجميع الأشياء تعلقًا تنجيزيًّا قديمًا، فيعلم الله سبحانه وتعالى الأشياء أزلًا على ما هي عليه.

وكونها وجدت في الماضي، أو موجودة في الحال، أو توجد في المستقبل، أطوار في المعلومات لا توجب تغيرًا في تَعَلُّقِ العِلمِ[1].

وليس له تعلق صلوحي، ولا تنجيزي حادث، وإلَّا لزم الجهل؛ لأنَّ الصالحَ لأنْ يعلمَ ليس بعالمٍ، والتنجيزي الحادث يستلزم سبق الجهل، وهذا هو الصحيح.

وجعل بعضهم له ثلاثة تعلقات:

١ـ تنجيزي قديم بالنسبة لذات الله وصفاته.

٢ـ وصلوحي قديم بالنسبة لغيره تعالى قبل وجوده، فإن العلم صالح؛ لأن يتعلق بوجوده، ولم يتعلق بوجوده بالفعل؛ لأن علم وجود الشيء قبل وجوده جهل، نعم علمه بأنه سيكون تنجيزيٌّ قديمٌ.

وأما قول الأوَّلين: لو كان له تعلق صلوحي لزم الجهل؛ لأنّ الصالح لأنْ يَعْلَمَ ليس بعالمٍ.

(١) فالمتغير إنما هو صفة المعلوم لا تعلق العلم.

فجوابه: أن ثبوت الوجود لِزَيدٍ بالفعل لا يصلح أن يكون معلومًا قبل وجوده بالفعل، وعدم تعلق العلم بمستحيل لا يصلح أن يكون معلومًا لا يعدّ جهلًا، كما أن عدم تعلق القدرة بمستحيل لا يعد عجزًا.

٣ـ وتعلُّق تنجيزي حادث، بالنسبة لغيره تعالى بعد وجوده بالفعل.

لكن الحق: أنه ليس له إلا تعلق تنجيزي قديم، فيعلم المولى الأشياء أزلًا إجمالًا وتفصيلًا، ويعلم الكليات والجزئيات.

ويعلم سبحانه ما لا نهاية له ككمالاته، وأنفاس أهل الجنة، فيعلمها تفصيلًا، ويعلم أنه لا نهاية لها، وتوقف التفصيل على التناهي إنما هو بحسب عقولنا، ودخل في ذلك علمه، فيعلم بعلمه أن له ـ تعالى ـ علمًا.

علم الله تعالى ليس مكتسبًا ولا ضروريًّا ولا نظريًّا ولا بديهيًّا:

وعلم الله تعالى ليس مكتسبًا لاستحالته في حقه تعالى؛ لأن الكسبي عرفًا يقتضي أسبقية الجهل: وهو العلم الحاصل عن النظر والاستدلال، فإذا أقمت دليلًا على حدوث العالَم بأن قلت: العالَم متغير، وكل متغير حادث، ينتج: العالم حادث، فالعلم بحدوث العالم حاصل عن نظر واستدلال، فهو كسبي، وقيل: الكسبي هو ما تعلقت به القدرة الحادثة.

وما ورد مما يوهم اكتساب علمه تعالى كقوله جلَّ من قائل: ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَٰهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ ٱلْحِزْبَيْنِ ﴾[1]، مؤول على أن المراد والله أعلم ليظهر لهم متعلَّق علمنا.

- أو أن المراد بـ " نَعْلَمَ " نُعلِم بضم النون كما قال الشيخ الملوي رحمه الله.

(١) سورة الكهف . الآية: ١٢.

واعلم أنه كما لا يُقال: علمه مكتسب، لا يقال: علمه ضروري ولا نظري ولا بديهي.

أما الضروري: فهو وإن كان يطلق على ما لا يتوقف على نظر واستدلال، وهو صحيح في حقه تعالى، لكن يطلق أيضًا على ما قارنته الضرورة، فيمتنع أن يقال: علمه ضروري؛ خوفًا من توهم هذا المعنى.

وأما النظري: فهو ما توقف على النظر والاستدلال، فهو مرادف للكسبي على تعريفه الأول، فيمتنع أن يقال: علمه نظري لاستلزامه الحدوث.

وأما البديهي: فهو وإن كان يطلق على ما لا يتوقف على نظر واستدلال فيكون مرادفًا للضروري على أحدِ معنييه، لكن يطلق أيضًا على العلم الحاصل للنفس بغتة.

يقال: (بده النفسَ الأمرُ) إذا أتاها بغتة فيمتنع أن يقال: علمه بديهي لإيهامه هذا المعنى .

الأدلة على وجوب صفة العلم لله تعالى :

أولًا: الدليل العقلي:

١- الله تعالى هو الذي أبدع هذا الكون، وأقامه على سنن ونظم لا تختل، ولا تضطرب، وهو الذي يمسك السماوات والأرض، وجميع النجوم والكواكب، حتى لا يصدم بعضها بعضًا، أو يختل بعضها عن مداره المقدر له وهو الذي يُيَسِّر كل ذرة ويرعى كل نَسَمة ويدبر أمر خلقه ويصرف كل شأن بحكمته، ويستحيل أن يحصل ذلك كله من الله إلَّا بعلم مطلق شامل.

٢- الله فعل فعلًا متقنًا محكمًا بالقصد والاختيار، وكلُّ من كان كذلك يجب له العلم، فالله يجب له العلم.

فإن قيل: إن هذا الدليل إنما يفيد علمه بالجائزات فقط، فما الدليل على علمه بالواجبات والمستحيلات؟

أجيب: بأن دليل ذلك دليل عدم افتقاره للمخصِّص؛ لأنه لو لم يعلم بالواجبات والمستحيلات لكان محتاجًا لمن يكمله، فيلزم أن يكون حادثًا فيفتقر للمخصِّص، وقد تقدم دليل عدم افتقاره للمخصِّص.

ثانيًا: الدليل النقلي:

قوله تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾[1]، ﴿لَّٰكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنزَلَ إِلَيْكَ أَنزَلَهُ بِعِلْمِهِ﴾[2]، ﴿فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ﴾[3].

(١) سورة البقرة . الآية: ٢٥٥.
(٢) سورة النساء . الآية: ١٦٦.
(٣) سورة هود . الآية: ١٤.

صفة الحياة

قَالَ النَّاظِمُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

حَيَاتُهُ كَذَا الكَلامُ السَّـمْعُ ** ثُمَّ البَصَرْ بِذِي أَتَانَا السَّمْعُ

الحياة لغة: ضد الموت.

واصطلاحًا: صفة وجوديةٌ أزليةٌ قائمة بذاته تعالى تقتضي صحة اتصاف الله تعالى بالعلم والقدرة والإرادة، وقد عرف الشيخ السنوسي الحياة بتعريف يشمل الحياة القديمة والحادثة حيث قال: «هي صفة تصحح لمن قامت به الإدراك» أي تُصحِّحُ لمن قامت به أن يتصف بصفات الإدراك، ولا يضره الجمع بين حقيقتين مختلفتين بالقدم والحدوث؛ لأنه تعريف بالرسم، لا تعريف بالحد.

وعرف بعضهم كلًّا منهما بتعريف يخصه.

فعرَّف الحياة القديمة بقوله: صفة أزلية تقتضي صحة العلم أي: تقتضي صحة الاتصاف به.

وكما تقتضي صحة الاتصاف بالعلم تقتضي صحة الاتصاف بغيره من الصفات الواجبة، وذكر لفظة (صحة)؛ لأن الحياة لا تستلزم العلم بالفعل،

لأنَّ العلم واجب في حقه تعالى للدليل السابق، وأما في حقنا فقد ينتفي العلم مع وجود الحياة كما في المجنون فإنه حي مع انتفاء العلم عنه.

وعرف الحياة الحادثة بقوله: هي كيفية يلزمها قبول الحس والحركة الإرادية أي: عَرَضٌ يلزمه قبول الإحساس وقبول الحركة الإرادية، بخلاف الحركة الاضطرارية؛ كحركة الحجر بحركة محرِّكِهِ.

وحياة الله لذاته ليست بروح، وحياتنا ليست لذاتنا بل بسبب روح.

الأدلة على صفة الحياة:

دليلها العقلي: الله يتصف بالقدرة والإرادة والعلم، وكل من كان كذلك تجب له الحياة فالله تجب له الحياة.

ويمكن أن نقول: لو لم يكن حيًّا لكان ميتًا، ولو كان ميتًا ما اتصف بالقدرة والإرادة والعلم، وقد ثبت اتصافه بها فهو حي.

ودليلها النقلي: قال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ ﴾[1]، ﴿ وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَيِّ ٱلْقَيُّومِ ﴾[2].

تعلق صفة الحياة :

صفة الحياة لا تتعلق بشيء أصلًا، وذلك؛ لأنها لا تستلزم أمرًا زائدًا على القيام بمحلها، والصفة التي تتعلق تستلزم أمرًا زائدًا على القيام بمحلها، ألا ترى أن العلم بعد قيامه بمحله يطلب أمرًا يعلم به، وكذا القدرة والإرادة ونحوهما.

***

(١) سورة البقرة . الآية: ٢٥٥.
(٢) سورة طه . الآية: ١١١.

صفة الكلام

قَالَ النَّاظِمُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

حَيَاتُهُ كَذَا الكَلَامُ السَّمْعُ ⁂ ثُمَّ البَصَرْ بِذِي أَتَانَا السَّمْعُ

معنى الكلام بالنسبة لله ـ تعالى ـ:

اختلف أهل الملل في المراد بكلامه تعالى.

فقال أهل السنة: كلامه تعالى صفة أزلية قائمة بذاته تعالى، ليست بحرف ولا صوت، منزهة عن التقدم والتأخر، ولا تشبه كلام الناس في شيء، مثلها في ذلك مثل جميع صفات الله تعالى.

وقالت الحشوية وطائفة من الحنابلة: كلامه تعالى هو الحروف والأصوات المتوالية المترتبة، ويزعمون أنها قديمة.

وقالت المعتزلة: كلامه ـ تعالى ـ هو الحروف والأصوات الحادثة، وهي غير قائمة بذاته، فمعنى كونه متكلمًا عندهم: أنه خالق للكلام في بعض الأجسام؛ لزعمهم أن الكلام لا يكون إلا بحروف وأصوات.

وهو مردود بأن الكلام النفسي ثابت لغة كما في قول الأخطل:

إنَّ الكلامَ لفي الفؤادِ وإنما ⁂ جُعِلَ اللسانُ على الفؤادِ دليلَا

⁕ الأقسام الاعتبارية لكلام الله تعالى:

كلام الله تعالى صفة واحدة لا تعدد فيها، لكن لها أقسام اعتبارية.

١ – فمن حيث تعلقه بطلب فعل الصلاة مثلًا: أمر.

٢ – ومن حيث تعلقه بطلب ترك الزنا مثلًا: نهي.

٣- ومن حيث تعلقه بأن فرعون فعل كذا مثلًا: خبر.

٤- ومن حيث تعلقه بأن الطائع يدخل الجنة: وعد.

٥- ومن حيث تعلقه بأن العاصي يدخل النار: وعيد، إلى غير ذلك .

وتعلقه بالنسبة لغير الأمر والنهي تعلق تنجيزي قديم.

وأما بالنسبة للأمر والنهي: فإن لم يشترط فيهما وجود المأمور والمنهي فكذلك، وإن اشترط فيهما ذلك كان التعلق فيهما صلوحيًّا قبل وجود المأمور والمنهي، وتنجيزيًّا حادثًا بعد وجودهما.

- واعلم أن كلام الله يطلق على الكلام النفسي القديم، بمعنى: أنه صفة قائمة بذاته تعالى، وعلى الكلام اللفظي بمعنى أنه خَلَقَه، وليس لأحد في أصل تركيبه كسب، وعلى هذا المعنى يحمل قول السيدة عائشة: ما بين دفتي المصحف كلام الله تعالى.

- وكل من أنكر أن ما بين دفتي المصحف كلام الله فقد كفر، إلا أن يريد أنه ليس هو الصفة القائمة بذاته تعالى.

- ومع كون اللفظ الذي نقرؤه حادثًا لا يجوز أن يقال: القرآن حادث، إلَّا في مقام التعليم؛ لأنه يطلق على الصفة القائمة بذاته تعالى أيضًا، لكن مجازًا على الأرجح؛ فربما يتوهم من إطلاق أن القرآن حادث أن الصفة القائمة بذاته تعالى حادثة، ولذلك ضُرب الإمام أحمد بن حنبل وحُبس على أن يقول بخلق القرآن فلم يرض.

وقال السنوسي وغيره من المتقدمين: إن الألفاظ التي نقرؤها تدل على الكلام القديم، وهذا خلاف التحقيق؛ لأن بعض مدلوله قديم كما في قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ﴾[1]، وبعض مدلوله حادث كما في قوله تعالى:

(١) سورة البقرة . الآية: ٢٥٥.

﴿إِنَّ قَـٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ﴾[1] والتحقيق : أن هذه الألفاظ تدل على بعض مدلول الكلام القديم ؛ لأنه يدل على جميع الواجبات والجائزات والمستحيلات .

الدليل على صفة الكلام:

١ـ الدليل النقلي: قوله تعالى: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمًا﴾[2]، ﴿قُل لَّوۡ كَانَ ٱلۡبَحۡرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّي لَنَفِدَ ٱلۡبَحۡرُ قَبۡلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّي وَلَوۡ جِئۡنَا بِمِثۡلِهِۦ مَدَدًا﴾[3].

٢ـ الدليل العقلي: أن الكلام صفة كمال، وكل كمال يجب له تعالى وانتفاء الكلام نقص والنقص مستحيل عليه تعالى.

(١) سورة القصص . الآية: ٧٦.
(٢) سورة النساء . الآية: ١٦٤ .
(٣) سورة الكهف . الآية: ١٠٩ .

صفة السمع

تعريف السمع :

السمع يطلق في الحوادث على: القوة المودعة في صِماخ الأذن لتدرك بها الأصوات عادة.

وفي حق الله ـ تعالى ـ: هو صفة أزلية قائمة بذاته تعالى تتعلق بالموجودات: الأصوات وغيرها كالذوات، تنكشف بها جميع الموجودات انكشافًا تامًّا يغاير الانكشاف بصفتي العلم والبصر، وهذه طريقة السنوسي في تعريف السمع.

وقال السعد: إن صفة السمع تتعلق بالمسموعات فقط.

وهذا الكلام إن حُمِل على المسموعات في حقنا وهي الأصوات فيكون مخالفًا لطريقة السنوسي ومن تبعه. وإن حمل على المسموعات في حقه ـ تعالى ـ وهي الموجودات الأصوات وغيرها، فيكون موافقًا لطريقة السنوسي ومن تبعه، فيسمع سبحانه وتعالى كلًّا من الأصوات والذوات، بمعنى أن كلًّا منهما منكشف لله بسمعه.

الأدلة على صفة السمع:

أ) دليلها النقلي: قال تعالى: ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ﴾[1]، وقال أيضًا: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ﴾[2]، وقد ورد في الحديث :(اربَعوا على أنفسكم في الدعاء؛ فإنكم لا تدعون أصم – وفي رواية: ولا غائبًا – وإنما تدعون سميعًا بصيرًا)[3] .

(١) سورة طه . الآية: ٤٦ .
(٢) سورة البقرة . الآية: ١٣٧ .
(٣)أخرجه البخاري ومسلم.

ب) دليلها العقلي: لو لم يتصف الله تعالى بصفة السمع لاتصف بضدها وهو الصَّمَم، وهو نقص، والنقص على الله ـ تعالى ـ مستحيل.

* يجب اعتقاد أن الانكشاف بالسمع غير الانكشاف بالبصر، وأن كلًّا منهما غير الانكشاف بالعلم ،ولكل حقيقة يفوض علمها لله تعالى .

صفة البصر

تعريف البصر:

بالنسبة للحادث: هو قوةٌ مودعةٌ في حدقة العين لتدرك بها الأضواء والألوان والأشكال.

وفي حق الله سبحانه: هو صفة أزلية قائمة بذاته تعالى تنكشف بها له جميع الموجودات الذوات وغيرها انكشافًا تامًّا يغاير الانكشاف بصفتي العلم والسمع.

ويجب على المكلف: أن يعتقد أن الانكشاف بصفتي السمع والبصر مخالف للانكشاف بصفة العلم، فهو لا يفيد زيادة انكشاف كما هو الحال عند الحوادث، بل جميع صفاته تامة كاملة فيستحيل عليه تعالى الخفاء والزيادة والنقصان.

الأدلة على صفة البصر:

أ) دليلها النقلي:

قال تعالى: ﴿ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ﴾[1]، وقال أيضًا: ﴿ ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴾[2].

ب) دليلها العقلي:

لو لم يتصف الله تعالى بصفة «البصر» لاتصف بضدها وهو «العمى»، والاتصاف بالعمى نقص، والنقص على الله ـ تعالى ـ مستحيل.

تنبيه: ذكر بعض العلماء قسمًا رابعًا للصفات وهي الصفات المعنوية وهي كونه تعالى: حيًّا، عالمًا، قادرًا، مريدًا، سميعًا، بصيرًا، متكلمًا، وإثباتها محل خلاف بين العلماء؛ لأن المعاني تستلزم المعنوية عند البعض.

وفي هذا يقول الناظم رحمه الله:

حَـيٌّ عَلِيـمٌ قَـادِرٌ مَرِيـدُ ❊❊ سَـمِعْ بَصِيرٌ مَا يَشَـا يُرِيدُ

---

(١) سورة العلق . الآية: ١٤ .
(٢) سورة الحج . الآية: ٧٥.


أقسام الصفات الواجبة للّه تعالى
الصفات النفسية
الصفات السلبية
صفات المعاني
الوجود
١ – القدم
٢ – البقاء
٣ – المخالفة للحوادث
٤ – القيام بالنفس
٥ – الوحدانية
القدرة
الإرادة
العلم
الحياة
الكلام النفسي
السمع
البصر

المناقشة والتدريبات

س١ : ما المعاني لغة واصطلاحًا ؟ وما الواجب على المكلف أن يعرف منها؟

س٢ : علام انحصرت صفات المعاني في سبع صفات؟ وما الصفات التي وقع فيها خلاف؟

س٣: ما المقصود بالقدرة لغة واصطلاحًا؟ ولم قدمت هذه الصفة عن غيرها من صفات المعاني؟

س٤ : للقدرة سبعة تعلقات، اذكرها إجمالًا.

س٥ : ما الدليل العقلي على ثبوت الصفات التالية:

أ- القدرة ب- الإرادة جـ- العلم د- الحياة؟

س٦ : ما المقصود اصطلاحًا بـ (الإرادة - العلم - الحياة)؟

س٧: ما الفرق بين الأمر والإرادة؟ وما الغرض من ذكر مغايرة الإرادة للعلم والرضا؟

س٨: لصفة العلم ثلاثة تعلقات، اذكرها إجمالًا.

س٩: علل لما يأتي:

أ- علم الله ليس مكتسبًا.

ب- يمنع أن يقال : علم الله نظري.

جـ-إثبات الصفات المعنوية محل خلاف بين العلماء.

د- صفة الحياة لا تتعلق بشيء.

هـ- ليس للعلم تعلق صلوحي ولا تنجيزي حادث.

س١٠: اختلف أهل الملل في المراد بكلامه تعالى، اذكر الآراء في ذلك. مرجحًا ما تراه مع التعليل.

س١١: ما معنى العبارات التالية:

أ- كلام الله تعالى يطلق على الكلام النفسي القديم والكلام اللفظي.

ب- الحياة الحادثة هي: كيفية يلزمها قبول الحس والحركة الإرادية.

جـ- قد يريد الله تعالى ولا يأمر.

س١٢: ضع علامة (√) أمام العبارة الصحيحة، وعلامة (×) أمام العبارة الخطأ مع تصويب الخطأ فيما يأتي:

أ- العلم له تعلق تنجيزي حادث. ( )

ب- ذهب الكعبي ومعتزلة بغداد إلى أن إرادة الله لفعل غيره أمره به ولفعله علمه به. ( )

جـ- دليل صفتي السمع والبصر دليل عقلي. ( )

س١٣: في ضوء فهمك لتعريف صفة الإرادة املأ الفراغات التالية:

أ- في قولنا: صفة قديمة ردٌّ على....................

ب- في قولنا: زائدة على الذات ردٌّ على..................من المعتزلة.

جـ- في قولنا: قائمة به ردٌّ على.................من المعتزلة.

تدريب عام

س١: عرف القدرة لغةً واصطلاحًا، واذكر الدليل العقلي عليها.

س٢: عرف الصفات التالية لغةً واصطلاحًا بإيجاز: القدرة، الإرادة، العلم، الحياة.

س٣: هات الدليل العقلي على وجوب الصفات التالية لله: السمع، البصر، القدرة، الإرادة.

س٣: علام يستدل بالآيات التالية:

(أ) ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾.

(ب) ﴿وَرَبُّكَ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخۡتَارُۗ﴾.

(ج) ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ﴾.

(د) ﴿وَعَنَتِ ٱلۡوُجُوهُ لِلۡحَيِّ ٱلۡقَيُّومِۖ﴾.

(هـ) ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا﴾.

(و) ﴿قَالَ لَا تَخَافَآۖ إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ﴾.

(ز) علم الله عز وجل ليس مكتسبًا ولا ضروريًا ولا نظريًا ولا بديهيًا. اشرح ذلك.

س٤: ضع علامة (√) أمام العبارة الصحيحة، وعلامة (×) أمام العبارة الخطأ فيما يلي:

(أ) من صفات المعاني القدرة والإرادة والعلم. ( )

(ب) صفة العلم تتعلق بجميع الأشياء تعلقًا تنجيزيًّا قديمًا. ( )

(ج) الكلام صفة أزلية قائمة بذاته تعالى ليست بحرف ولا صوت. ( )

(د) الانكشاف بصفتي السمع والبصر يماثل الانكشاف بصفة العلم. ( )

***

٩ـ أسماء الله تعالى وصفاته قديمة توقيفية

قال الناظم رحمه الله:

وَعِنْدَنَــا أَسْــمَاؤُهُ العَظِيمَــهْ ❊ كَــذَا صِفَــاتُ ذَاتِــهِ قَدِيمَــهْ

واخْتِــيرَ أَنَّ اسْــمَاه تَوَقيفِيَّــهْ ❊ كَذَا الصِّفَاتُ فَاحْفَظِ السَّمْعِيَّهْ

الأسماء جمع اسم والمراد به : ما دل على الذات بمجردها كالله، أو باعتبار الصفة كالعالم والقادر .

- يجب على الإنسان أن يعتقد أن أسماءَه العظيمةَ قديمةٌ، وكذا صفات ذاته، عندنا معاشر أهل الحق، خلافًا للمعتزلة في قولهم: إن أسماءه ـ تعالى ـ حادثة، وإنها من وضع الخلق.

- ويجب أن تعلم أن كُلًّا من الاسم والصفة إما أن يشتمل على كمال محض لا يشوبه نقص ولا تشبيه، وإما أن يدل على كمال مع شائبة تشبيه.

فإن كان كل من الاسم والصفة يدل على كمال مشوب بنوع تشبيه فقد أجمع العلماء على أنه لا يجوز أن يُطلَق على الله ـ تعالى ـ واحد منهما بغير إذن.

فإن ورد الإذن أطلقناه ونفينا عنه ما خالطه من شائبة تشبيه. وإن كان كل من الاسم والصفة يدل على الكمال المحض:

- فأهل السنة على أن أسماءه تعالى توقيفية وكذا صفاته ، فلا يثبتون لله اسمًا ولا صفة إلا إذا ورد بذلك توقيف من الشارع .

- وذهبت المعتزلة إلى جواز إثبات ما كان متصفًا بمعناه ولم يوهم نقصًا، وإن لم يرد به توقيف من الشارع، ومال إليه القاضي أبو بكر الباقلاني، وتوقف فيه إمام الحرمين.

- وفصَّل الغزالي-رحمه الله- فقال: يجوز إطلاق الصفة، وهي ما دل على معنى زائد على الذات، ومنع إطلاق الاسم وهو ما دل على نفس الذات.

والحاصل أن علماء الإسلام اتفقوا على جواز إطلاق الأسماء والصفات على الباري عز وجل إذا ورد بها إذن من الشارع مطلقًا، وعلى امتناع إطلاق واحد منها إذا ورد المنع من إطلاقه.

واتفقوا أيضًا على عدم جواز إطلاق واحد منهما إذا كان يدل على كمال مشوب بما لا يجوز عليه ـ تعالى ـ ولم يرد به الإذن.

- ومحل اختلافهم مسألة واحدة: وهي فيما لم يرد عن الشارع نص بالإطلاق أو بالمنع منه، وكان الاسم أو الصفة يدل على كمال محض.

- ومما ورد الإذن بإطلاقه عليه تعالى وهو مُوهِمٌ بحسب وضع اللغة ويجب تأويله بمعنى لا يُوهِمُ مثل : الصبور، الشكور، الحليم.

فإن الصبور يوهم وصول مشقة له ـ تعالى ـ بحسب أصل وضع اللغة؛ لأن «الصبر» في اللغة معناه: حبس النفس على المشاق، فيؤول على معنى: الذي لا يعجل بعقوبة من عصاه.

- **والشكور** يُوهِمُ وصول إحسان إليه؛ لأن معنى الشكر الثناء على المحسِن، فيفسَّر بأنه: الذي يجازي على قليل الطاعات بكثير الدرجات، ويعطي بسبب العمل في الدنيا – وهي أيام معدودة – نعمًا في الآخرة غير محدودة.

- **والحليم** يوهم وصول الأذى إليه تعالى، وهو سبحانه لا يصل إليه أذى، فيفسَّر في حقه تعالى بالذي لا يُعَجِّل بعقوبة من عصاه، فيرجع لمعنى الصبور.

النصوص الموهمة للتشبيه

قَالَ النَّاظِمُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَكُلُّ نَـصٍّ أَوْهَـمَ التَّشْـبِيهَا ** أَوِّلْـهُ أَوْ فَـوِّضْ وَرُمْ تَنْزِيهَـا

تمهيد: وردت في القرآن الكريم والسنة النبوية بعض النصوص التي يوهم ظاهرها التجسيم والتشبيه، واتصاف الله تعالى بصفةٍ من صفات المخلوقين مثل: اليد، والمجيء، والاستواء، والنزول، والوجه، وغير ذلك من الصفات التي وردت في القرآن الكريم أو في السنة المطهرة.

- وقبل الخوض في شرح هذا الموضوع نبين المرادَ من النص، ومن التشبيه، والمراد من التأويل، والتفويض، والمراد بالسلف والخلف، ثم نبيِّن ما اتفق عليه الفريقان، وما انفرد به أحدُهما.

أما النص: فالمراد به في هذا الموضع ما قابل الإجماع والقياس، وهو منحصر في الدليل من الكتاب والسنة، سواءً أكان صريحًا أم ظاهرًا.

والمراد من التشبيه في هذا الموضع: المشابهة للحوادث.

والمراد من التأويل هنا: حمل اللفظ على خلاف ظاهره، مع بيان المعنى المراد، فيكون المطلوب من المكلف أمرين:

أحدهما: أن يحكم بأن اللفظ مصروف عن ظاهره.

وثانيهما: أن يؤوّل اللفظ تأويلًا تفصيليًّا، بأن يكون فيه بيان المعنى الذي يظن أنه المقصود من اللفظ.

والمراد من التفويض: صرف اللفظ عن ظاهره مع عدم التعرض لبيان المعنى المراد منه، بل يترك ويفوض علمه إلى الله -تعالى- بأن يقول: الله أعلم بمراده.

والمراد من السلف: هم من كانوا من أهل العلم قبل نهاية القرن الثالث الهجري وهم الصحابة والتابعون والأئمة الأربعة وكبار علماء مذاهبهم.

والمراد بالخلف: من كان من العلماء بعد نهاية القرن الثالث الهجري.

- واعلم أن السلف والخلف متفقون على التأويل الإجمالي، وهو صرف النص الموهم للتشبيه عن ظاهره بسبب أن ظاهره بحسب معناه اللغوي المعروف المشاهد محال عليه ـ تعالى ـ لكنهم مختلفون فيما وراء ذلك من التعرض لذكر المعنى المراد من النص، فالسلف لا يتعرضون لبيانه، والخلف يتعرضون لبيانه.

- وطريقة الخلف أعلم وأحكم؛ لما فيها من مزيد الإيضاح والرد على الخصوم، وهي الأرجح، ولذلك قدمها الناظم.

وطريقة السلف أسلم؛ لما فيها من السلامة من تعيين معنى قد يكون غير مراد له تعالى.

أقوال علماء الأمة في طريقة فهم النصوص الموهمة للتشبيه:

١-قول القاضي عياض رحمه الله:

قال:(ولا خلاف بين المسلمين قاطبة محدثهم وفقيههم ومتكلمهم ومقلدهم ونظارهم أن الظواهر الواردة بذكر الله في السماء كقوله:﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ﴾[١] أنها ليست على ظاهرها وأنها متأولة عند جميعهم)[٢].

(١) سورةالملك الآية:٦١.

(٢) إكمال المعلم بفوائد مسلم(٢/ ٥٦٤).

٢-قول الحافظ أبي زرعة العراقي رحمه الله:

قال بعد حديثه عن بعض النصوص الموهمة للتشبيه:(وهذا كله بناء على طريقة التأويل وهي طريقة جمهور المتكلمين، والذي عليه جمهور السلف وطائفة من المتكلمين أنه لا يتكلم في تأويلها، بل نؤمن بأنها حق على ما أراد الله، ولها معنى يليق بها، وظاهرها غير مراد)[١] .

٣-قول الإمام جلال الدين السيوطي رحمه الله:

قال في حديث الجارية: (هو من أحاديث الصفات يفوضُ معناه ولا يخاض فيه مع التنزيه، أو يؤول بأن المراد امتحانها هل هي موحدة تقر بأن الخالق المدبر هو الله وحده، وهو الذي إذا دعاه الداعي استقبل السماء، كما إذا صلى له يستقبل الكعبة، وليس ذلك لأنه منحصر في السماء كما أنه ليس منحصرًا في جهة الكعبة؛ بل ذلك لأن السماء قبلة الداعين، كما أن الكعبة قبلة المصلين، أم هي من الذين يعبدون الأوثان التي بين أيديهم)[٢].

٤-قول الملا علي القاري رحمه الله:

قال رحمه الله بعد أن تكلم عن التفويض والتأويل: (فالمذهبان متفقان على التنزيه وإنما الخلاف في أن الأَولى ماذا، أهو التفويض أم التأويل؟ ويمكن حمل الخلاف على اختلاف الزمان.

---

(١) تكملة طرح التثريب في شرح التقريب(٨/ ١٧٧).

(٢) الديباج شرح صحيح مسلم بن الحجاج(٢/ ٢١٦).

فكان التفويض في زمان السلف أولى؛ لسلامة صدورهم، وعدم ظهور البدع في زمانهم.

والتأويل في زمان الخلف أولى؛ لكثرة العوام وأخذهم بما يتبادر إلى الأفهام، وغلو المبتدعة بين الأنام، والله أعلم بالمرام)[١].

٥-قول بدر الدين بن جماعة رحمه الله:

قال رحمه الله بعد أن ذكر ما ابتدعه الناس في النصوص الموهمة للتشبيه:(فاحتاج أهل الحق إلى الرد على ما ابتدعوه، ولإقامة الحجج على خطأ ما تقَوَّلوه، انقسموا قسمين:

أحدهما: أهل التأويل: وهم الذين تجردوا للرد على المبتدعة من المجسمة والمعطلة.

والقسم الثاني: القائلون بالقول المعروف بقول السلف، وهو القطع بأن ما لا يليق بجلال الله تعالى غير مراد، والسكوت عن تعيين المعنى المراد من المعاني اللائقة بجلاله تعالى،........،وكل منهما على الحق.

ومن انتحل قول السلف، وقال بتشبيه أو تكييف، أو حمل اللفظ على ظاهره مما يتعالى الله عنه من صفات المحدثين فهو كاذب في انتحاله، بريء من قول السلف واعتداله[٢].

---

(١) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح(١/ ٦٧).

(٢) التنزيه في إبطال حجج التشبيه صـ٥٥١.

أقوال علماء الأمة في التأويل:

١-قول الإمام الغزالي رحمه الله:

يرى الإمام الغزالي رحمه الله: أن التأويل ضرورة لا بد منها لجميع الفرق فيقول:(ما من فريق من أهل السنة إلا وهو مضطر إليه، أي: إلى التأويل)[١].

٢-قول الإمام الرازي رحمه الله:

يقول الإمام الرازي رحمه الله: (جميع فرق الإسلام يقرون بأنه لا بدَّ من تأويل بعض ظواهر القرآن والأخبار)[٢].

وقال أيضًا: (يجب علينا تنزيه الألفاظ الموضوعة لتعريف ذات الله تعالى وصفاته عن العبث والرفث وسوء الأدب)[٣].

٣-قول الإمام النووي رحمه الله:

قال عن مذهب التأويل:(مذهب أكثر المتكلمين وجماعات من السلف وهو محكي عن مالك والأوزاعي)[٤].

٤-قول العز بن عبد السلام رحمه الله:

قال:(طريقة التأويل بشرطها أقرب إلى الحق).

وقال المرتضى الزبيدي رحمه الله معلقًا على كلام العز:(ويعني بشرطها أن يكون على مقتضى لسان العرب)[٥].

(١) الاقتصاد في الاعتقاد للغزالي ص (٤٨-٥).

(٢) أساس التقديس للرازي ص١٠٥.

(٣)مفاتيح الغيب للرازي ج١ ص١٤٩.

(٤)شرح مسلم ج٦ص٣٦.

(٥)إتحاف السادة المتقين(٢/ ١٠٩).

٥-قول الإمام الآلوسي رحمه الله:

قال :(والتأويل القريب إلى الذهن الشائع في كلام العرب مما لا بأس به عندي، على أن بعض الآيات مما أجمع على تأويلها السلف والخلف)[١].

أسباب اللجوء إلى التأويل:

١-استفحال أمر المشبِّهة والمجسِّمة:

يقول الإمام الرازي موضحًا ظروف اللجوء للتأويل في زمانه: (اعلم أن ذكر هذه المتشابهات- النصوص المُوهِمة للتشبيه- صار شبهة عظيمة للخلق في الإلهيات؛ لأنَّ المصدقين بالقرآن اعتقدوا في الله اعتقادات باطلة حتى صاروا جاهلين بالله تعالى واصفين له سبحانه وتعالى بما ينافي الألوهية) .

٢- الضرورة اللغوية والعقدية:

للتأويل ضرورة لغوية؛ لأن طبيعة اللغة فرضته منذ نزول القرآن بلسان عربي مبين، وقد سلك فيه رب العزة أساليب العرب في تخاطبهم وكلامهم من التشبيه والاستعارة والكناية والمجاز، وغير ذلك من الوجوه البيانية التي لا تفسر إلا عن طريق صرف اللفظ عن ظاهره إلى المقصود من ورائه.

وضرورة عقدية؛ لأنه يتوصل من خلاله إلى تنزيه الله تعالى عن مشابهة الحوادث.

وعلى كلٍّ فالتأويل ضرورة يستخدم بقدر الحاجة.

يقول ابن الجوزي رحمه الله:(التشبيه داء والتأويل دواؤه، فإذا لم يوجد الداء فلا حاجة لاستعمال الدواء)[٢].

---

(١) روح المعاني(٣/ ٦١١).

(٢) مجالس ابن الجوزي ص١١ .

أمثلة من النصوص الدالة على ضرورة التأويل:

١- قوله تعالى: ﴿نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾[١]، وقوله: ﴿فَٱلْيَوْمَ نَنسَىٰهُمْ كَمَا نَسُوا۟ لِقَآءَ يَوْمِهِمْ هَٰذَا﴾[٢].

فهل النسيان من صفات الله تعالى، أم أنه يجب صرف اللفظ عن معناه الظاهر والقول بوجوب تأويله؟

٢- قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾[٣].

٣- قوله تعالى: ﴿وَمَكَرُوا۟ وَمَكَرَ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ﴾[٤].

٤- قوله تعالى: ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ﴾[٥]. وغير ذلك من النصوص فهل يثبت ظاهرها وحقائقها المعهودة المعروفة بين البشر فنقول: نثبت لله نسيانًا حقيقيًّا، واستهزاء ومكرًا وخداعًا حقيقيًّا، هل من اللائق بتنزيه الله ذلك؟!

أمثلة من تأويل السلف:

١-تأويل الصحابي الجليل عبدالله بن عباس رضي الله عنه:

-قوله: ﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْي۟دٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾[٦]، قال: بقوة[٧].

وقد نقل الحافظ ابن جرير الطبري تأويل لفظة أيدٍ هنا بالقوة عن جماعة من أئمة السلف، منهم مجاهد وقتاده وسفيان.

---

(١)التوبة الآية: ٦٧.

(٢)الأعراف الآية: ٥١.

(٣)البقرة الآية: ١٥.

(٤)آل عمران الآية: ٥٤.

(٥)النساء الآية: ١٤٢.

(٦)الذاريات الآية: ٤٧.

(٧) تفسير الطبري (٧/ ٢٧).

٢-تأويل سفيان الثوري رحمه الله:

سئل الإمام الثوري عن قوله: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾[١]، فقال: بعلمه[٢].

٣- تأويل الإمام أحمد رحمه الله:

قال الحافظ ابن كثير: (روى البيهقي عن الحاكم عن أبي عمرو بن السمَّاك عن حنبل أن أحمد بن حنبل تأول قول الله تعالى: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ﴾[٣]، أنه جاء ثوابه ....، ثم قال البيهقي: وهذا إسناد لا غبار عليه)[٤].

٤- تأويل الإمام البخاري رحمه الله:

نقل البيهقي في «الأسماء والصفات» عن البخاري أنه قال : (معنى الضحك: الرحمة)[٥].

وقال البيهقي: (روى الفربري عن محمد بن إسماعيل البخاري رحمه الله تعالى: أنه قال : معنى الضحك في الحديث؛ أي:(الرحمة)[٦].

٥- تأويل ابن جرير الطبري رحمه الله:

---

(١)الحديد الآية ٤.

(٢) سير أعلام النبلاء (٧/ ٤٧٢).

(٣) الفجر الآية٢٢.

(٤) البداية والنهاية (١٠/ ٣٢٧).

(٥)الأسماء والصفات ص٤٧٠.

(٦)الأسماء والصفات ص٨٩٢.

قال ابن جرير الطبري في تفسيره قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾[(١)] (والعجبُ ممن أنكر المعنى المفهوم من كلام العرب في تأويل قول الله: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾، الذي هو بمعنى العلو والارتفاع، هربًا عند نفسه من أن يلزمه بزعمه - إذا تأوله بمعناه المفهم كذلك - أن يكون إنما علا وارتفع بعد أن كان تحتها إلى أن تأوله بالمجهول من تأويله المستنكر. ثم لم يَنْجُ مما هرَب منه! فيقال له: زعمت أن تأويل قوله ﴿ٱسْتَوَىٰٓ﴾ أقبلَ، أفكان مُدْبِرًا عن السماء فأقبل إليها؟ فإن زعم أنّ ذلك ليس بإقبال فعل، ولكنه إقبال تدبير، قيل له: فكذلك فقُلْ: علا عليها علوّ مُلْك وسُلْطان، لا علوّ انتقال وزَوال)[(٢)].

٦- تأويل الإمام أبي الحسن الأشعري رحمه الله:

قال الإمام أبو الحسن الأشعري :(وأجمعوا على أنه عز وجل يرضى عن الطائعين له، وأنَّ رضاه عنهم إرادته لنعيمهم، وأنه يحب التوابين، ويسخط على الكافرين، ويغضب عليهم، وأنَّ غضبه إرادته لعذابهم) [(٣)].

منهج المثبتين والنافين للتأويل في النصوص الموهمة للتشبيه:

السلف رضي الله عنهم كانوا ينزهون الله تنزيهًا تامًّا عن أن يشابه أحدًا من مخلوقاته، ثم يفوضون إلى الله تعالى علم المعنى المراد من الآيات التي جاءت فيها ألفاظ مسندة إلى الله تعالى، التي قد يوهم ظاهرها التجسيم والتشبيه، فهم آمنوا بما جاء في القرآن والسنة، وأثبتوا لله ما أثبته لنفسه مع تنزيهه تعالى عن المعاني الظاهرة.

وكانوا يقولون كما قال الإمام الشافعي: (آمنت بما جاء عن الله على مراد الله،

(١)البقرة الآية٢٩.

(٢) تفسير الطبري (١/ ١٩١).

(٣)رسالة إلى أهل الثغر ص٣٧.

وبما جاء عن رسول الله على مراد رسول الله ﷺ).

هذا هو فهم السلف للنصوص التي توهم التجسيم والتشبيه، آمنوا بها وأمرُّوها كما وردت، واكتفوا بتلاوتها مع نفي المعنى الذي يوهم التجسيم والتشبيه.

وهذا هو معنى التفويض عند السلف كما فهمه الأشاعرة والماتريدية، الذي ينتهي إلى إثبات النصوص مع تفويض المعنى المتبادر منها إلى الله تعالى.

رأي ابن تيمية وابن القيم وأتباعهما:

الفهم السابق لا يرضى به ابن تيمية وابن قيم الجوزية - رحمهما الله - وأتباعهما، إذ إنهم يرون أن هذا تجهيل للصحابة والتابعين ومن تبعهم.

- ويرون أن الصحابة كانوا يعلمون معنى هذه الألفاظ، ويعلمون المراد منها، لكنهم يفوضون في الكيفية، لا تفويض المعنى.

- وبهذا يرى ابن تيمية أن النصوص الموهمة للتجسيم والتشبيه ليست من المتشابه بل هي من المحكَم المعلوم المعنى.

فالاستواء واليد والعين والجنب والوجه إلخ..- عندهم - صفات لها معان ثابتة ومعلومة، ولا بد من إجرائها على ظاهرها وبمعناها المتبادِر منها.

لكن يقول بعد إثباتها: بلا كيف، ولا بد من وصف الله تعالى بها كما وصف نفسه بها، وتفويض كيفيتها إلى الله تعالى.

وهو بهذا يرفض التأويل بمعنى صرف اللفظ عن ظاهره رفضًا مطلقًا حتى وإن لزمه التجسيم.

بيان عدم صحة هذا المنهج:

هذا المنهج من ابن تيمية رحمه الله غير صحيح؛ لما يأتي:

١- لأن تفويض السلف للنصوص التي قد توهم التجسيم والتشبيه ليس تجهيلًا لهم، بل هم رضي الله عنهم يفهمون معانيها البشرية، لكنهم تورعوا عن وصف الذات الإلهية بها وإسنادها إليه تأدبًا معه، فأولوها تأويلًا إجماليًّا، ولم يحددوا معنى معينًا بل فوضوا المعنى المراد منها لله تعالى.

٢- إثبات ابن تيمية للنصوص الموهمة للتشبيه يترتب عليه إلزامات كثيرة، مؤداها أنه يلزمه التجسيم والتشبيه.

٣- قوله: «إن السلف يفوضون في الكيف». ليس صحيحًا؛ لأنه يلزم من هذا القول إثبات الكيف، وهو من مقولة الأعراض، والأعراض حادثة، وهي لا تقوم إلا بالأجسام الحادثة، وهذا يقتضي أن تكون الذات الإلهية جسمًا من الأجسام الحادثة، تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا.

٤- ثم إن إثباته للمعنى الظاهر وقوله: «بلا كيف». يوقعه في التناقض، ذلك أن إثبات المعنى المتبادِر من النصوص الموهمة يعني التكييف، أي: تشبيهه تعالى بصورة ما، وكلمة «بلا كيف» تناقضه، فكأنه قال: «كيف ولا كيف».

وهذه الإلزامات لا تلزم السلف بحال من الأحوال، إذ إنهم قرأوا النصوص الموهمة، وأمرُّوها دون بحث في معناها، ولا تلزم الأشاعرة والماتريدية، إذ إنهم صرفوا هذه النصوص عن ظاهرها، فكان هدفهم الأول هو التنزيه في فهم النصوص الموهمة للتجسيم والتشبيه.

والأشاعرة والماتريدية، يأخذون بمنهج السلف «التفويض» ولكنهم يزيدون عليه تعيين المعنى المراد إذا دعت الضرورة لذلك بمعنى: أنه إذا وجد تشبيه فلا بد من التأويل، فكأن التشبيه داء والتأويل دواؤه.

- فهم ينزهون الله عز وجل عن التجسيم والتشبيه.

- وهم يعتبرون أنفسهم امتدادًا لمذهب السلف رضي الله عنهم.

- وهم ما أخذوا بالتأويل إلا لظهور التشبيه في البيئة الإسلامية بعد عصر السلف رضي الله عنهم.

أمثلة لنصوص توهم التشبيه وكيفية التعامل معها:

١- مما يوهم الجهة قوله تعالى: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ﴾(١).

فالسلف يقولون: فوقية لا نعلمها.

والخلف يقولون: المراد بالفوقية التعالي في العظمة، فالمعنى: ﴿يَخَافُونَ﴾؛ أي: الملائكة، ﴿رَبَّهُم﴾ من أجل تعاليه في العظمة؛ أي: ارتفاعه فيها.

٢- ومنه قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ﴾(٢).

فالسلف يقولون: استواء لا نعلمه.

والخلف يقولون: المراد به الاستيلاء والملك كما قال الشاعر:

قَدِ اسْتَوَى بِشْرٌ عَلَى الْعِرَاقِ ** مِنْ غَيْرِ سَيْفٍ وَدَمٍ مُهْرَاقِ

- وسأل رجل الإمام مالكًا عن هذه الآية فأطرق رأسه مليًّا ثم قال: «الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة، وما أظنك إلا ضالًّا»، فأمر به فأُخرِج.

- وسأل الزمخشري الغزالي فأجابه بقوله: «إذا استحال أن تعرف نفسك بكيفية أو أَيْنِيَّة، فكيف يليق بعبوديتك أن تصفه ـ تعالى ـ بأين أو كيف وهو مقدس عن ذلك؟!».

(١) سورة النحل . الآية: ٥٠.
(٢) سورة طه . الآية: ٥.

٣- ومما يوهم الجسمية قوله تعالى: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ﴾[(١)].

٤- وحديث الصحيحين: «ينزل ربُّنا كل ليلة إلى سماء الدنيا، حين يبقى ثلث الليل الأخير، ويقول: من يدعوني، فأستجيب له؟ من يسألني فأعطيه؟ من يستغفرني، فأغفر له»[(٢)].

فالسلف يقولون: مجيء ونزول لا نعلمهما.

والخلف يقولون: المراد: وجاء عذاب ربك، أو أمر ربك الشامل للعذاب، والمراد: ينزل ملك ربنا، فيقول عن الله ... إلخ.

والحاصل أنه:

إذا ورد في القرآن، أو السنة ما يشعر بإثبات الجهة، أو الجسمية، أو الصورة، أو الجوارح، فقد اتفق أهل الحق من الأشاعرة والماتريدية وغيرهم - ما عدا المجسِّمة والمشبِّهة - على تأويل ذلك؛ لوجوب تنزيهه ـ تعالى ـ عما دل عليه ما ذُكر بحسب ظاهره.

(١) سورة الفجر . الآية: ٢٢.
(٢) أخرجه البخاري في«صحيحه» (١١٤٥، ٦٣٢١، ٧٤٩٤)، ومسلم في «صحيحه» (٧٥٨)؛ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

المناقشة والتدريبات

س١ :ما مذهب أهل السنة والمعتزلة في أسماء الله تعالى وصفاته؟

س٢: ما الآراء في إطلاق اسم أو صفة على الله تعالى لم يرد به إذن أو توقيف من الشارع؟

س٣: ما حكم إطلاق اسم أو صفة على الله تعالى ورد بهما إذن وهو موهم معنى لا يليق بالله تعالى؟ وضح ذلك مع التمثيل.

س٤ : ضع علامة (√) أمام العبارة الصحيحة، وعلامة (×) أمام العبارة الخطأ مع تصويب الخطأ فيما يأتي:

أ- ذهبت المعتزلة إلى عدم جواز إثبات ما كان متصفًا بمعناه ولم يوهم نقصًا ما لم يرد به توقيف من الشارع. ( )

ب- التفويض: صرف اللفظ عن ظاهره مع عدم التعرض لبيان المعنى المراد منه. ( )

جـ- طريقة السلف أعلم وأحكم من طريقة الخلف. ( )

د- أسماء الله توقيفية. ( )

س٥: قال الناظم: وكل نص أوهم التشبيها أوله أو فوض ورُم تنزيها

في ضوء فهمك للبيت السابق أجب عما يأتي:

١- ما المقصود بالنص؟ وما المراد من التشبيه في هذا الموضع؟

٢- ما المقصود بكل من (التأويل - التفويض -السلف - الخلف)؟

٣- كيف فهم السلف النصوص التي توهم التجسيم والتشبيه؟

٤- ما معنى التفويض عند السلف كما فهمه السادة الأشاعرة والماتريدية؟

٥- يرى ابن تيمية أن النصوص الموهمة للتجسيم والتشبيه ليست من المتشابه؟ وضح ذلك، ثم اذكر وجهة نظرك مع الدليل، مبينًا سبب كون منهج ابن تيمية في هذه المسألة غير صحيح.

٦- إثبات ابن تيمية للنصوص الموهمة للتشبيه يترتب عليه إلزامات كثيرة، اذكرها مفندًا هذا الرأي.

٧- اشرح العبارات التالية:

أ- (يأخذ الأشاعرة والماتريدية بمنهج السلف - التفويض - ولكنهم يزيدون عليه تعيين المعنى المراد إذا دعت الضرورة).

ب-(طريقة الخلف أعلم وأحكم، وطريقة السلف أسلم).

٨- كيف تفهم النصوص التالية:

أ- قوله تعالى: (يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ).

ب-(ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ).

جـ- (إن الله خلق آدم على صورته)[١].

د- (يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ).

هـ- (وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ).

---

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه» (٦٢٢٧)، ومسلم في «صحيحه» (٢٦١٢)؛ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

١١ـ تنزيه القرآن الكريم عن الحدوث

قَالَ النَّاظِمُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَنَـزِّهِ القُـرْآنَ أَيْ: كَلامَـهُ ** عَنِ الحُـدُوثِ واحْذَرِ انْتِقَامَهُ
فـكلُّ نـصٍّ للحـدوثِ دَلَّا ** احمِلْ على اللفظِ الذي قد دَلَّا

يجب على المكلف تنزيه القرآن عن الحدوث؛ خلافًا للمعتزلة القائلين بحدوث الكلام، زعمًا منهم أن من لوازمه الحروف والأصوات، وذلك مستحيل عليه ـ تعالى ـ فكلام الله تعالى عندهم مخلوق؛ لأن الله خلقه في بعض الأجسام.

ومذهب أهل السنة أن القرآن بمعنى الكلام النفسي: أي: الصفة القديمة القائمة بذاته تعالى التي ليست بحرف ولا صوت؛ ليس بمخلوق، وأما القرآن بمعنى اللفظ الذي نقرؤه فهو مخلوق.

لكن يمتنع أن يقال: القرآن مخلوق ويراد به اللفظ الذي نقرؤه إلا في مقام التعليم؛ لأنه ربما أوهم أن القرآن - بمعنى كلامه تعالى - مخلوق، ولذلك امتنعت الأئمة من القول بخلق القرآن.

محنة القول بخلق القرآن الكريم

وقد وقع في ذلك امتحانٌ كبيرٌ لخلق كثير من أهل السنة. فخرج البخاري فارًّا وقال: اللهم اقبضني إليك غير مفتون، فمات بعد أربعة أيام.

وسُجِنَ عيسى بن دينار عشرين سنة، وسئل الشعبي فقال: أما التوراة والإنجيل والزبور والفرقان فهذه الأربعة حادثة، وأشار إلى أصابعه، فكانت سبب نجاته، واشتهرت أيضًا عن الإمام الشافعي، وحبس الإمام أحمد وضرب بالسياط حتى غشي عليه.

تعريف القرآن الكريم:

هو اللفظ المنزل على نبينا محمد ﷺ المتعَبَّدُ بتلاوته المتحدَّى بأقصر سورة منه، والمحقق أن المنزل اللفظ والمعنى؛ لأن الله كتبه أولًا في اللوح المحفوظ، ثم أنزله في صحائف إلى سماء الدنيا في محل يقال له: (بيت العزة) في ليلة القدر، كما قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ﴾[1]. ثم أنزله على النبي ﷺ مفرقًا بحسب الوقائع.

وفي النهاية كل ظاهر من الكتاب والسنة دلَّ على حدوث القرآن فهو محمول على اللفظ المقروء لا على الكلام النفسي، لكن يمتنع أن يقال: القرآن مخلوق إلا في مقام التعليم كما سبق.

❊ ❊ ❊

(١) سورة القدر . الآية: ١.

١٢ـ المستحيل في حقه تعالى

قَالَ النَّاظِمُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَيَسْتَحِيلُ ضِدُّ ذِي الصِّفَاتِ ** فِي حَقِّـهِ كَالْكَـوْنِ فِي الجِهَاتِ

ثبت أن الله ـ تعالى ـ متصف بصفات الكمال إجمالًا، فيلزم عن ذلك أن يكون منزَّهًا عن صفات النقص إجمالًا، فيكون كل نقص مستحيلًا عليه تعالى.

وبطريق التفصيل: فقد وجب لله ـ تعالى ـ صفات هي أمهات صفات الكمال، وقد ثبت ذلك بالأدلة القاطعة، فيستحيل عليه ـ تعالى ـ أضدادها؛ لأن الضدين لا يجتمعان.

فيستحيل عليه تعالى:

١ـ العدم وهو ضد الوجود .

٢ـ الحدوث وهو ضد القدم .

٣ـ لحوق العدم وهو الفناء وهو ضد البقاء.

٤ـ المماثلة للحوادث وهو ضد المخالفة للحوادث .

الكلام عن المماثلة ونفيها عنه تعالى:

المماثلة للحوادث ضد المخالفة للحوادث، والمماثلة مصورة:

- بأن يكون جِرْمًا سواء كان مركبًا ويُسمى حينئذ جسمًا، أو غير مركب ويسمى حينئذ جوهرًا فردًا، لكن المُجَسِّمة لا يكفَّرون إلا إن قالوا: هو جسم كالأجسام.
- أو بأن يكون عرضًا يقوم بالجسم.
- أو يكون في جهة للجسم، فليس فوق العرش، ولا تحته، ولا عن يمينه، ولا عن شماله، ونحو ذلك.

- أو يكون له جهة- سبحانه-، فليس له فوق ولا تحت، ولا يمين ولا شمال، ونحو ذلك.

- أو يحل في المكان، فالحلول هو المراد بالتقييد في عبارة من عبر به.

والمراد بالمكان: الفراغ الموهوم على رأي المتكلمين[1]، والمُحَقَّق على رأي الحكماء.

- أو يتقيد بزمان، بحيث تكون حركة الفلك منطبقة عليه، أو يكر عليه الجديدان الليل والنهار.

- وكذلك تكون المماثلة بأن تتصف ذاته العلية بالحوادث كالقدرة الحادثة والإرادة الحادثة، والحركة أو السكون، والبياض أو السواد، أو نحو ذلك.

- أو يتصف بالصغر بمعنى قلة الأجزاء، أو بالكبر بمعنى كثرة الأجزاء، فليس صغيرًا بمعنى قليل الأجزاء ولا كبيرًا بمعنى كثير الأجزاء وهذا لا ينافي أنه تعالى كبير في المرتبة والشرف. قال الله تعالى: ﴿ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ﴾[2].

- أو يتصف بالأغراض في الأفعال أو الأحكام، فليس فعله كإيجاد زيد لغرض من الأغراض، أي: مصلحة تبعثه على ذلك الفعل، فلا ينافي أنه لحكمة، وإلا لكان عبثًا وهو مستحيل في حقه ـ تعالى ـ ، وليس حكمه كإيجاب الصلاة علينا لغرض من الأغراض، أي: مصلحة تبعثه على ذلك الحكم، فلا ينافي أنه لحكمة كما علمت، فصور المماثلة عشرة.

٥- ويستحيل عليه أيضًا ألا يكون قائمًا بنفسه بأن يكون صفة تقوم بمحل، أو يحتاج إلى مخصِّص، وهذا ضد القيام بالنفس.

٦- وأن لا يكون واحدًا بأن يكون مركبًا في ذاته، أو يكون له مماثل في ذاته، أو يكون في صفاته تعدد من نوع واحد كقدرتين وإرادتين وهكذا.

(١) معني كونه موهومًا عند المتكلمين : أنَّه يتوهم انه أمر وجودي وليس كذلك بل هو أمر عدمي .
(٢) سورة الرعد . الآية: ٩.

أو يكون لأحدٍ صفة كصفته ـ تعالى ـ، أو يكون معه في الوجود مؤثر في فعل من الأفعال، وهذا كله ضد الوحدانية.

٧- وأن يكون عاجزًا عن ممكن ما، وهذا ضد القدرة.

٨- وأن يُوجِد شيئًا من العالم مع كراهته لوجوده، أو يعدم شيئًا مع كراهته لعدمه: أي: عدم إرادته له، أو مع الذهول أو الغفلة.

فالذهول: ذهاب الشيء من الحافظة والمُدركة، أو من أحدهما، والأول نسيان والثاني سهو. وأما الغفلة فهي السهو، أو مع التعليل بأن يكون الباري علة تنشأ عنه الخلائق من غير اختيار ولا توقف على وجود شرط وانتفاء مانع، كحركة الخاتم فإنها نشأت عند القائلين بالتعليل عن حركة الإصبع، فعندهم حركة الإصبع علة في حركة الخاتم.

ونحن نقول: الخالق لحركة الإصبع ولحركة الخاتم هو الله تعالى من غير تأثير لحركة الإصبع في حركة الخاتم. أو مع الطبع بأن يكون الباري طبيعة تنشأ عنه الخلائق من غير اختيار مع التوقف على وجود الشروط وانتفاء الموانع، كالنار فإنها تؤثر بطبعها عندهم في الإحراق مع وجود شرط المماسة وانتفاء مانع البلل.

ونحن نقول: المؤثر في الإحراق هو الله ـ تعالى ـ، ولا تأثير للنار أصلًا، وهذا كله ضد الإرادة.

٩- ويستحيل أيضًا الجهل وما في معناه كالظن والشك والوهم والنوم، وهذا ضد العلم.

١٠- والموت وهو ضد الحياة.

١١- والبكم النفسي وهو ضد الكلام.

١٢- والعمى وهو ضد البصر.

١٣- وكونه عاجزًا ... إلى آخرها على القول بالأحوال.

ككونه تعالى في جهة من الجهات الست؛ وهذا مثال من أمثلة المماثلة للحوادث. ويقاس عليه باقي أمثلة المماثلة بل باقي صور المستحيل.

حكم معتقد الجهة:

ومعتقد الجهة لا يكفر كما قاله العز بن عبد السلام، وقيَّده النووي: بكونه من العامة، وابن أبي جَمْرَة بِعُسْرِ فهم نفيها.

وفصَّل بعضهم فقال: إن اعتقد جهة العلوّ لم يكفر؛ لأن جهة العلو فيها شرف ورفعة في الجملة، وإن اعتقد جهة السُّفْلِ كفر؛ لأن جهة السفل فيها خسة ودناءة.

الجائز في حق الله تعالى:

قَالَ النَّاظِمُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَجَائِـزٌ فِي حَقِّـهِ مَـا أَمْكَنَـا ❊ إِيجَـادًا اعْدَامًـا كَرَزْقِـهِ الْغِنَى

الجائز: هو الممكن لذاته، أي: الذي تَقْبل ذاته الوجود والعدم، فلا يكون واجبًا لذاته، ولا يكون مستحيلًا لذاته؛ فالأمران بالنسبة إليه على السواء، والقدرة تتعلَّق بكل ممكنٍ، إما إيجادًا، وإما إعدامًا، فهي تُنَفِّذُ ما خصصته الإرادة، وقد مثَّل المصنف بحالة الإيجاد برزقه تعالى العبد الغني، ولحالة الإعدام بتركه رزقه.

قال تعالى: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ﴾[1]، وقال أيضًا: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾[2].

(١) سورة القصص. الآية: ٦٨.
(٢) سورة آل عمران. الآية: ٢٦.

تطبيق

س١: ثبت لله تعالى صفات الكمال وقامت الأدلة القاطعة على ذلك واستحال عليه أضدادها، وضِّح ذلك.

س٢: اشرح البيت التالي مع التمثيل:

وَجَائِـزٌ فِي حَقِّـهِ مَـا أَمْكَنَـا ** إِيجَـادًا اعْدَامًـا كَرَزْقِـهِ الْغِنَى

س٣: ضع علامة (√) أمام العبارة الصحيحة، وعلامة (×) أمام العبارة الخطأ فيما يلي:

أ - تكون المماثلة للحوادث بأن تتصف ذاته العلية بالحوادث. ( )

ب - يكفر معتقد الجهة كما قال العز بن عبد السلام. ( )

جـ - القدرة تتعلق بكل ممكن إيجادًا أو إعدامًا. ( )

* * *

المناقشة والتدريبات

س١ : قال الناظم رحمه الله:

ونزه القرآن أي: كلامه ⁂ عن الحدوث واحذر انتقامه

في ضوء فهمك للبيت السابق أجب عما يأتي:

أ- ما مذهب المعتزلة في صفة الكلام بالنسبة لله تعالى؟ مع التعليل.

ب- ما مذهب أهل السنة في القرآن الكريم؟ وهل هو مخلوق؟

جـ- وقع بلاء كبير لكثير من المسلمين بسبب مسألة خلق القرآن، اشرح ذلك مع التمثيل.

د- ما المقصود بالقرآن الكريم؟ وهل المنزل اللفظ فقط أم اللفظ والمعنى؟ مع التعليل.

س٢: كما يجب لله أمهات صفات الكمال يستحيل عليه أضدادها، علل.

س٣: ما ضد الصفات التالية:

- المماثلة للحوادث - الوجود - البقاء - القدم

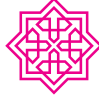
س٤: ما حكم معتقد الجهة، اذكر آراء العلماء في ذلك مبينًا وجهة نظرك.

س٥: ضع علامة (√) أمام العبارة الصحيحة، وعلامة (×) أمام العبارة الخطأ مع تصويب الخطأ فيما يأتي:

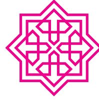
أ- يمتنع أن يقال: القرآن مخلوق إلا في مقام التعليم. ( )

ب- يجوز أن يتصف الله بالأغراض في الأفعال. ( )

جـ- قال العز بن عبدالسلام بكفر معتقد الجهة. ( )



نماذج من
الامتحانات الاسترشادية
بقطاع المعاهد الأزهرية



قطاع المعاهد الأزهرية
نموذج استرشادي لامتحان التوحيد للصف الأول الثانوي
الفصل الدراسي الأول

السؤال الأول: قال الناظم رحمه الله:

الحمد لله على صِلاته ... ثم سلام الله مع صَلاته

أ- فى ضوء فهمك للبيت السابق أجب عما يأتى.

١ - ما سبب جمع الناظم فى افتتاحية مقدمته بين البسملة والحمدلة؟

٢- ما الحمد لغة واصطلاحًا؟ وما أقسامه إجمالًا؟

ب - ما المقصود بالمصطلحات التالية:

(النبي - التوحيد اصطلاحًا - الدليل الإجمالي - الدين)؟

السؤال الثاني:

أ-(الرسالة أفضل من النبوة) اشرح العبارة السابقة.

ب - ما المقصود بالتكليف؟ ومن هو المكلف؟ وما شروطه؟

جـ -ما المقصود بأهل الفترة؟ وما حكم أبوي النبي صلى الله عليه وسلم؟

السؤال الثالث: ضع علامة (✓) أمام العبارة الصحيحة وعلامة (×) أمام العبارة الخطأ، مع تصويب الخطأ إن وجد:

أ- ذهب الأشاعرة إلى أن معرفة الله واجبة بالعقل ( )

ب- الحكم العقلي هو إثبات أمرٍ لأمرٍ، أو نفيه عنه استنادًا إلى العادة والتجربة ( )

جـ-الراجح فى الإيمان عدم الاكتفاء بالتقليد ( )

د- الإيمان يزيد وينقص عند الإمام أبى حنيفة رحمه الله ( )

السؤال الرابع: تخير الإجابة الصحيحة مما بين القوسين فيما يلي:

أ- أول واجب على المكلف عند الإمام الأشعري هو

(معرفة الله - النظر - القصد إلى النظر).

ب- النظر عرفًا: ترتيب أمرين معلومين ليتوصل بترتيبهما إلى علم

(معلوم - مجهول - معلوم ومجهول).

جـ- الإقرار بالشهادتين جزء من الإيمان عند

(أبي حنيفة - إمام الحرمين - الإسفراييني).

الأزهر الشريف

منطقة:...

إدارة : ....

معهد : ....

جدول متابعة الطالب

م	الدرجة	توقيع ولي الأمر
اختبار شهر أكتوبر	( ) من ( )	
اختبار شهر نوفمبر	( ) من ( )	
اختبار شهر ديسمبر	( ) من ( )	
اختبار شهر يناير	( ) من ( )	
اختبار شهر فبراير	( ) من ( )	
اختبار شهر مارس	( ) من ( )	
اختبار شهر أبريل	( ) من ( )	
اختبار شهر مايو	( ) من ( )	

ملاحظات:

....

....

الأزهر الشريف

منطقة:...

إدارة :...

معهد :...

جدول متابعة الطالب

م	الدرجة	توقيع ولي الأمر
التطبيق الأول	( ) من ( )	
التطبيق الثاني	( ) من ( )	
التطبيق الثالث	( ) من ( )	
التطبيق الرابع	( ) من ( )	
التطبيق الخامس	( ) من ( )	
التطبيق السادس	( ) من ( )	
التطبيق السابع	( ) من ( )	
التطبيق الثامن	( ) من ( )	

ملاحظات:

....

....

الأزهر الشريف

منطقة:...

إدارة :...

معهد :...

تواصل المعلم مع ولي الأمر

تاريخ الرسالة	رسالة من المعلم لولي الأمر	رسالة من ولي الأمر للمعلم

لعرض فيديوهات الشرح
قم بعمل مسح لهذا الباركود



قائمة الموضوعات

تابع قائمة الموضوعات

تابع قائمة الموضوعات

تابع قائمة الموضوعات

قائمة الموضوعات

قائمة الموضوعات